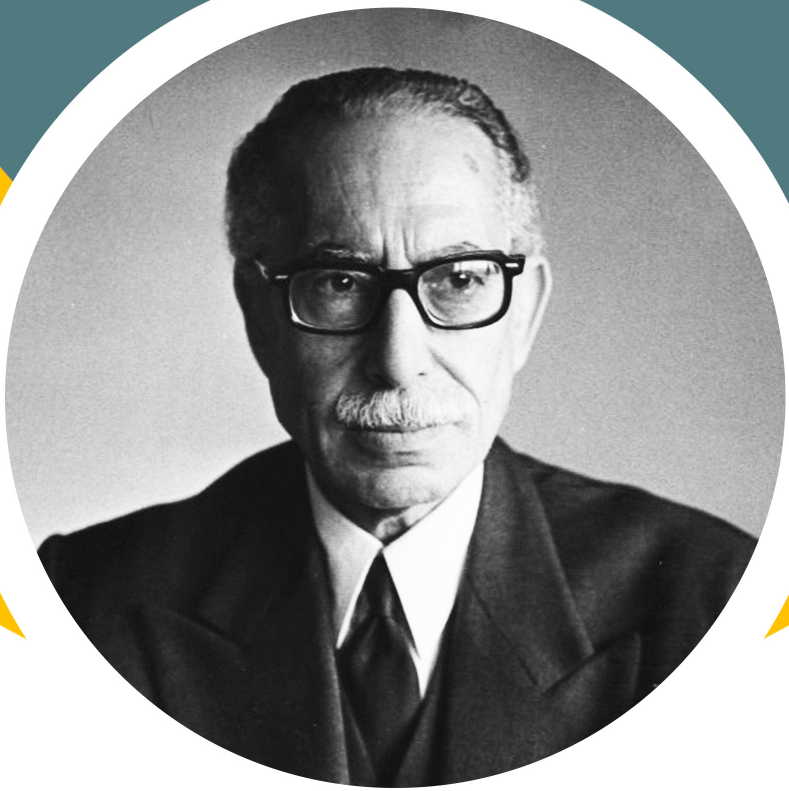

براكسا
أو مشكلة الحكم

توفيق الحكيم

براكسا أو مشكلة الحكم

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

براكسا أو مشكلة الحكم

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٢٠٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

المحتويات

بيان الطبعة الثانية	٩
بيان الطبعة الأولى	١١
الفصل الأول	١٣
الفصل الثاني	٢٥
الفصل الثالث	٣٧
الفصل الرابع	٤٧
الفصل الخامس	٦٥
الفصل السادس	٧٣

إلى أريستوفان! ...
رب الكوميديا الإغريقية! ...
أقدم ذنبي! ...
وأطلب:
الغفران!

بيان الطبعة الثانية

نُشرت «براكسا» أو «مشكلة الحكم» لأول مرة عام ١٩٣٩م في ثلاثة فصول فقط. ولم يتيسَّر وقتئذٍ نشر أكثر من ذلك. فلما تُرجمت لتُنشر في باريس عام ١٩٥٤م ظهرت كاملة في ستة فصول.

وهذه الطبعة هي المرة الأولى التي تُنشر فيها المسرحية في نصِّها العربي الكامل.

(ت. ا)

القاهرة في ١٩٦٠م

بيان الطبعة الأولى

كتبت هذه القصة على أساس الفصل الأول من كوميديا قديمة لأريستوفان «مجلس النساء»، التي مُثِّلت عام ٣٩٢ ق.م.

وإنَّ أولئك الذين الْتقطوا فتات المائدة «الأريستوفانية» ليصنعوا منه غذاءً حديثًا كثيرون، لعلَّ أشهرهم في العصر الحاضر: «موريس دونيه» عضو الأكاديمية الفرنسية، في قصَّته: «ليزايستراتا».

على أني أحبُّ لكلِّ قارئٍ مدقِّق، أو ناقدٍ محقِّق، أن يراجع الأصل الذي كتبه «أريستوفان» قبل أن يُطالع هذا الكتاب؛ فإن هذه المراجعة ستظهره على كثير من خصائص الأساليب ... ذلك أن مجرَّد الاشتراك مع «أريستوفان» في قصة واحدة — ولو على أساس فصل واحد منها فقط — قد كشف لعيني ما لم تكشفه تجاريب خمسَ عشْرةَ قصةً تمثيلية كتبتها، وعلَّمني ما لم أعلم من أسرار هذا الفن العسير، وأطلعني على صفات وعيوب لم يكن إدراكها من اليسير.

وبعدُ، فإني ألتمس العذر في القصور؛ فمن ذا يقيس قامته بقامة «أريستوفان»؟!

(ت. ا)

القاهرة ١٩٣٩م

الفصل الأول

(ميدان في «أثينا» ... قد غمره ظلام الليل، ولكن خيطًا فِضيًّا من خيوط الفجر قد لمع في الأفق البعيد.)

(«براكسا جورا» تخرج من أحد المنازل، تحمل مصباحًا مضيئًا في يد، وعصًا غليظة في الأخرى ... وهي مرتدية ثياب الرجال.)

براكسا جورا (تحرِّك في يدها المصباح)**:** أيها المصباح! ... أيها الأمين على سِرِّنا، المطَّلع بعينك المضيئة على ما ندبِّر في الخفاء! ... نحن النساء! ... أرسل الإشارة المصطلح عليها بلسان لهبك الفصيح!

(تلتفت يَمنةً ويَسرة.)

عجبًا! ... لست أرى طيفَ امرأة ممَّن ينبغي لهنَّ أن يجتمعن الساعة في هذا المكان ... لقد أوشك الفجر أن يبزغ، وآن للمجلس أن يُعقد.

(تنظر حولها قليلًا.)

لماذا أبطأن؟ ... أتُراهن لم يعثرن على اللِّحَى المستعارة التي يجب أن تخفي وُجوهَهنَّ الملساء؟ ... أم تُراهنَّ قد عجزن عن سرقة ثياب أزواجهن.

(تنظر أمامها)

لكن مهلًا! ... ها أنا ذي ألمح ضوءًا يقترب ... فلأختبئ لئلا يكون القادم رجلًا.

(تختفي في طريق صغير، وتظهر امرأة تتبعها نساء كثيرات، وكلُّهنَّ يحملن العِصِيَّ الغليظة، ويرتدين عباءات الرجال وأحذيتهم.)

المرأة (لرفيقاتها همسًا): أين «براكسا جورا»؟ ... لقد حان وقت السَّيْر ... إنَّ المنادي قد أعلن منذ قليل عن قرب انعقاد المجلس.

براكسا جورا (تخرج لهنَّ): ها أنا ذي! ... لقد انتظرتكنَّ ساهرةً طول الليل ... فلنذهب توًّا! ... بل انتظرن حتى أنادي جارتي ... اطرُقْنَ بابها في رفق؛ خشية أن ينتبه زوجها.

(يطرق بعض النساء منزلًا مواجهًا لمنزل «براكسا جورا».)

الجارة (تخرج من منزلها في ملابس زوجها، وفي يدها عصا، وتقول هامسة): لقد سمعت نقركنَّ على الباب! ... إني لم أَنَمْ هذه الليلةَ لحظة؛ فلقد جعل زوجي يتقلب على فراشه طول الليل من السُّعال.

براكسا جورا (تنظر إلى الجميع): أرى بعضنا قد تخلَّف!

امرأة (من المجتمِعات تلتفت): ها هي ذي زوجة الخباز قد أقبلت تحمل مِشْعَلًا في يدها!

الجارة (تلتفت كذلك): وها هي ذي امرأة صاحب الحان قد جاءت.

امرأة (تنظر): ها هي ذي امرأةُ النُّوتيِّ أيضًا.

(يأتي بعض النساء، وينضممن إلى المجتمِعات.)

براكسا جورا: والآن، اجلسن قليلًا حتى أستوثق من أنَّ كلَّ شيء قد تَمَّ وَفقًا لِلخُطَّة المرسومة.

الجميع: كلُّ شيء قد تَمَّ.

براكسا جورا: هل معكنَّ جميعكن اللحى المستعارة؟

الجميع: نعم! ... نعم!

براكسا جورا: ارفعنها في أيديكنَّ حتى أرى.

الجميع: ها هي ذي! ... ها هي ذي!

امرأة: ها هي ذي ... انظري يا «براكسا جورا»! ... إنَّ لحيتي وقورة!

الجارة: وأنا أيضًا ... انظري لحيتي! ... إنها أعظم وقارًا من لحية الفيلسوف «أبقراط»!

براكسا جورا (تلتفت إلى بقية النساء): والباقيات؟

امرأة: كلهنَّ مثلنا ... وكل شيء على ما تَرُومين.

براكسا جورا (في رضًا)**:** نعم! ... أرى أنكنَّ قد قمتنَّ بما ينبغي ... فمعكنَّ أرديةُ أزواجكن وعِصيُّهم وأحذيتُهم.

الجارة: وعقولهم!

براكسا جورا: لا ... لسنا في حاجة إلى عقولهم! ... تكفينا أحذيتُهم وعِصيُّهم!

امرأة: لقد سرقت عصا زوجي أثناء نومه!

الجارة: وأنا أيضًا قد تغفَّلت زوجي، و...

براكسا جورا (لكل النساء)**:** قد أديتنَّ الواجب! ... وإن كل ما رسمناه قد نفذناه! ... فلنقرر الآن ما بقي أن نصنع بعدئذٍ، والنجوم ما تزال تسطع في السماء ... إنَّ المجلس الذي نتأهَّب لحضوره يُعقد عند الفجر!

الجارة: نعم! ... ينبغي بحقِّ الإله «زيوس» أن نتمكَّن من الحصول على مقاعد قُرب مكان الخطباء!

امرأة: أوَسنبقى حتى نسمع جميعَ الخطب؟!

الجارة (تبرز مغزلًا وخيطًا من تحت ثيابها)**:** هذا لا مفرَّ منه! ... وكان ينبغي لكِ أن تتوقَّعي هذا الأمر وأن تفعلي ما فعلتُ! ... انظري! ... انظري! ... إني أحمل معي خيطي ومغزلي، وسأرفِّه عن نفسي بالغزْل أثناء انعقاد المجلس!

براكسا جورا (صائحة)**:** الغزل؟ ... أيتها الشقية!

الجارة: نعم! ... وحق الإلَهة «أرتميس»! ... وهل الغزْل يمنعني من الإصغاء إلى كلام الخطباء؟!

براكسا جورا: إنك لا تُدركين ما تصنعين!

الجارة: إني أصنع ثيابًا لأطفالي! ... إنهم عرايا! ... فمن ذا يغزل لهم؟

براكسا جورا: أنسيتِ أيتها البلهاء أنكِ رجل ذو لحية وقور؟ ... وأنَّ اللحيةَ والمغزل لا يتَّفقان؟!

الجارة (في صيحة)**:** آه! ... هذا صحيح! ... لقد نسيت أني رجل!

براكسا جورا (تلتفت إلى الجميع)**:** أصْغِينَ إليَّ أيتها النساء! ... إن غايتنا التي من أجلها نجتمع منذ زمن، وهدفنا الذي نرمي إليه منذ أمد، وحُلمنا الذي نسعى لتحقيقه، ونرجو أن يتحقق اليوم، هو كما تعلمن: أن نتسلم نحن في أيدينا شئون الدولة؛ فالدولة — كما تعرفن — تسير الآن كأنها سفينة ضالة في بحار عميقة القاع، وهي عاطلة من المجاذيف والشراع.

الجارة: نعم! ... لو تسلَّمنا هذه السفينة لغزلنا لها في الحال بمغازلنا ألف شراع!

براكسا جورا (تلتفت إليها منتهرة): ألن تكفِّي عن ذِكر الغزْل والمغزل؟!

امرأة: كلامك جميل يا «براكسا جورا»! ... ولكن كيف نستطيع — نحن النساء — أن نحكم الدولة؟! ... وكيف نجرؤ بقلوبنا الضعيفة على مخاطبة الشعب؟!

براكسا جورا: من قال إنَّ قلوبنا ضعيفة؟! ... ينبغي أن نقوم في شجاعة بهذا العمل العظيم! ... فإن لم نسارع نحن إلى إنقاذ الدولة، فلن ينجيها أحد من الهلاك!

الجارة: إن الخبرة مع ذلك تنقصنا يا «براكسا جورا»! ... ولم يسبق لنا أنْ خاطبْنا الشعب!

براكسا جورا: أعلم ذلك ... ومن أجل ذلك قد اجتمعنا الآن ها هنا؛ كي نهيئ ما ينبغي لنا أن نقول! ... هيا! ... ضَعْنَ لِحاكُنَّ، وأَصْغِينَ إلى الخُطَب!

الجميع (يضعن اللحى): أما اللحى، فها هي ذي!

امرأة: نعم! ... ما أيسر وَضْعَ اللحى!

الجارة (تلتفت إلى النساء حولها): عجبًا! ... انظري يا «براكسا جورا» بحق الآلهة! ... إن منظرنا قد أصبح مضحكًا!

براكسا جورا (في تَجهُّمٍ): مُضحكًا! ... لماذا؟!

الجارة (تكتم ضحكة): إنا نكاد نشبه قطيعًا من القردة يرتدي ثياب الفلاسفة!

براكسا جورا (في غضب): اخرسي!

(ثم تتركها، وتلتفت إلى النساء المتهامسات المتضاحكات.)

فليكفَّ الجميع عن الثرثرة! ... من تريد منكنَّ الكلام؟!

امرأة (تنهض): أنا!

براكسا جورا: تكلم! ... الكلمة لك أيها الخطيب الفصيح!

المرأة: الكلمة لي يا «براكسا جورا»؟!

براكسا جورا: نعم! ... تكلَّم!

المرأة: و ... أين هي هذه الكلمة؟!

براكسا جورا: اجلسي! ... إنكِ لا تصلحين لشيء!

المرأة: هل أنزع اللحية؟!

براكسا جورا (تلتفت إلى غيرها): مَنْ غيرُ هذا الأحمق يريد أن يُمنَح الكلمة؟!

الجارة (تنهض): أنا!

براكسا جورا (تنظر إليها): قبل كلِّ شيء اعتدلي هكذا! ... وحاولي أن تنطقي كما يفعل الرجل، واعتمدي بجسمك على عصاك!

الجارة (تعتدل وتفعل كما أَمَرَتْها وتخطب): «أيتها النساء المنعقدات في هذا المجلس ...»

براكسا جورا (صائحة): نساء؟! ... أيتها الشقية الحمقاء! ... أهكذا تنادين الرجال أعضاء المجلس؟!

الجارة (في ضجة خفيفة): آه! ... قد نسيت أنهم رجال!

براكسا جورا: اذهبي أنتِ أيضًا واجلسي في مكانكِ! ... أنا نفسي سأتولى عنكن الكلام! ... أَصْغِينَ!

(تقف موقف الخطابة وتقول):

أوجِّه توسلاتي إلى الآلهة، وأسألها أن تُوفِّقنا إلى إصلاح الأمر ... إنه لَيُدمي قلبي أن أرى الفساد قد دَبَّ في جسم الدولة كما يدبُّ الموت البطيء، وأن أرى الدولة قد أَلْقَتْ بشئونها في أيدي رؤساء لا يَعنيهم من أمر الدولة غير أنفسهم ومن يحيط بهم من الأخِصاء ... كلهم يرى الدولة دائرة ضيِّقة هم مركزها، ومحيطها الأنصار والأصدقاء، أما ما خرج عن هذا المحيط فإن أبصارهم لا تستطيع أن تمتدَّ إليه! ... لم يأتِ بعدُ رجلٌ استطاع أن ينظر إلى البعيد قبل القريب، ولم يظهر رجل جعل الدولة كلها دائرة واحدة، مركزها النفع العام، وأخرج نفسه منها ليسهر عليها من عَلٍ؛ كأنه إله! ... إنَّا كلَّما عقدنا الأمل على رجل، وحسبناه المصلح المنشود، خاب الظن، وطفا على لُجَج السخط العام حكمُه العفِن، كما تطفو الجيف، وانتشرت في الجوِّ رائحة الفساد المعهود ... إنها لحال كادت تدعو إلى اليأس المميت، لو لم أجد لكم أيها الناس دواءً له فعل السحر!

الجارة: يا له من خطيب قادر!

براكسا جورا (تلتفت إليها): نعم! ... قد أحسنت القول هذه المرة!

الجارة: امضِ في كلامِكَ البليغِ أيها الرجل!

براكسا جورا (تمضي في خَطَابتها): أيها الناس! ... أتدرون ما هو هذا الدواء العجيب؟ ... أتعلمون ما هو السبيل الوحيد الآن إلى إنقاذ «أثينا»؟!

الجميع: ما هو؟

براكسا جورا: أن نضع زمام الدولة في يد المرأة ... ولا تظنوا الرأي غريبًا ... أَفَلَسْتُم جميعكم تضعون زمام البيت في يد المرأة؟

الجميع: مرحى! ... مرحى! ... بحق الإله «زيوس» امضِ في هذا الكلام الصائب أيها الرجل العاقل!

براكسا جورا (تستمر): نعم ... إن أخلاق النساء لخير ألف مرة من أخلاقنا نحن الرجال، وإنهنَّ لأقدر ألف مرة على القيام بما فيه المنفعة للناس، وتوفير أسباب الراحة للجميع، وإرضاء الطوائف والأفراد، وتدبير وسائل الرخاء والثراء ... فمَن أكثر من المرأة اقتصادًا؟! ... ومن غير المرأة يستطيع الحصول عند الحاجة على النقود؟ ... ومن غير المرأة طُبِعَ على التنظيم، وخُلِقَتْ فيه عبقرية الترتيب والتنسيق؟ ... إنها إذا تسلمت السلطة فإنها تُحسن حكمَ الدولة؟ وهي التي اعتادت أن تُحسن حكمَ زوجها! ... وإنها إذا حملت التبعات نهضت بأعبائها في حرص ... دون أن يخدعها أحد؛ فهي التي اعتادت أن تخدع الآخرين!

امرأة: مرحى! ... مرحى! ... أيتها البارعة «براكسا جورا»! ... أين تعلمت كلَّ هذه الأشياء؟

براكسا جورا (تلتفت إليها باسمة): عندما كنا نقطن — أنا وزوجي — قرب المجلس؛ فلقد كنت أطيل الإصغاء إلى خطب الخطباء!

الجارة: «براكسا جورا»! ... لم يبقَ رَيْبٌ في أنكِ أنتِ وحدك من بيننا، نحن النساءَ، الجديرة بقيادة زمامنا، المهيأة للنهوض بتنفيذ مشروعاتنا!

براكسا جورا: سوف أقول أكثر من ذلك في المجلس!

الجارة: ونحن سوف نؤازرك، ونهتف لك بملء أصواتنا!

براكسا جورا (للجميع): حسنًا! ... قد آنَ الآن أوان السَّير ... انهضنَ! ... بل انهضوا أيها الرجال، واعتمدوا على عِصيِّكم، وامشُوا وأنتم تُنشدون أغنية من أغاني الريف؛ كما يفعل القرويون!

الجميع (ينهضن ويمشين): هلمُّوا أيها الرجال! ... إلى المجلس! ... إلى المجلس!

(ثم ينصرفن وهنَّ يُنشدن):

إلهنا «زيوس»!
ساكن السماء!

أعطنا الرخاء،
واغرِسِ الرجاء؛
في كل النفوس!

(يخلو المكان، ويخيم عليه السكون.)

(فاصل موسيقي)

(تبرز أشعة الشمس الأولى في الأفق؛ كأنها أطراف حلية من ذهب على صدر عذراء! ... ثم يُفتَح باب منزل «براكسا جورا» ويخرج منه زوجها «بلبروس» مرتديًا ثياب امرأته.)

بلبروس (يلتفت يمينًا ويسارًا)**:** عجبًا من العجب! ... أين ذهبت امرأتي، وتركتني وحدي في فراشي؟ ... لقد أردت النهوض فلم أجد نعلي ولا ردائي! ... أين ذهبت ملابسي أيضًا؟ ... يا لي من زوج تَعِس! ... لكن الذنب ذنبي أنا؛ إذ تزوجت من هذه المرأة الشابة! ... إنها من غير شك لم تخرج هكذا قبل طلوع الشمس، من أجل غرض شريف! ... آه! ... ويلي! ... ويلي!

(يجلس القرفصاء أمام عتبة داره ويضع كفه على خده، فيطل عليه جاره من النافذة.)

الجار: من هذا؟ ... إنه فيما يُخَيَّل إليَّ «بلبروس» جاري.
بلبروس (يرفع رأسه إليه)**:** هو بعينه، وحق «زيوس»!
الجار: عجبًا! ... ما هذا الشيء الأحمر الذي ترتديه؟
بلبروس: هو ثوب لزوجتي تدثرتُ به حتى أستطيع الخروج.
الجار: ورداؤك، أين ذهب؟
بلبروس: لست أدري! ... لقد بحثت عنه كثيرًا فلم أجده في البيت!
الجار: ألم تسأل زوجتَك عنه؟
بلبروس: زوجتي؟ ... هي أيضًا، وحق «زيوس»، بحثت عنها كثيرًا، فلم أجدها في البيت! ... لقد انسلَّت خارجةً في الظلام بغير علمي، وأرجو ألا تكون قد ذهبت لارتكاب عمل طائش!

الجار: يا للعجب! ... إن ما حدث لك يشابه بالضبط ما حدث لي! ... إن زوجتي هي أيضًا قد اختفت بردائي! ... وليس هذا ما يحزنني! ... إن الطامة الكبرى هي أنها ذهبت كذلك بالنعل الوحيد الذي عندي؛ فكيف أستطيع اللَّحاق بها؟

بلبروس: وأنا أيضًا! ... يا للمصيبة النازلة! ... لن أستطيع الجري وراءها؛ فلقد دسستُ قدمي في خفٍّ لها صادفته في البيت، وهو لا يسعفني إذا ركضت به في الطرقات!

الجار: آه ... لقد تأخرنا عن موعد المجلس! ... ومع ذلك، كيف السبيل إليه الآن؟ ... وأين لي برداء، وأنا لا أملك غير ذلك الذي ذهبت به امرأتي؟ ... يا له من موقف لا مخرج لنا منه! ... لقد حبستنا نساؤنا، وقيدننا من أرجلنا! ... إنا لا نستطيع الآن حراكًا، ولا نصلح الساعة لشيء غير النوم، فلأرجعنَّ إلى فراشي!

(يختفي من النافذة، وعندئذٍ يظهر «كريميس» آتيًا من جهة المجلس.)

كريميس (يلمح «بلبروس» جالسًا على عتبة داره ووجهه في كفيه)**:** من هذا؟ ... «بلبروس»؟ ... ماذا تصنع هنا؟ ... إنك لست نائمًا فيما أظن!

بلبروس (يرفع رأسه)**:** لقد استيقظت منذ زمن!

كريميس: عجبًا! ... ماذا أرى؟ ... أأنت مرتدٍ ثياب امرأتك؟

بلبروس: من قبيل السهو والغلط! ... لقد ارتديت ما وقعت عليه يدي في الظلام! ... وأنت؟! ... من أين أنت قادم يا «كريميس»؟

كريميس: من المجلس!

بلبروس: أهو منعقد؟!

كريميس: وأي انعقاد! ... إنك لن تستطيع أن تجد موضعًا لقدم من الزحام!

بلبروس: وما سبب هذا الزحام اليوم؟!

كريميس: لست أدري! ... إن الجموع هائلة اليوم، مما لم يقع مثله من قبل، ولقد اجتمع في المجلس أناس من كل الطوائف! ... ويُخَيَّل إليَّ أني لمحت هناك كثيرًا من الوجوه البيضاء! ... وجوه كأنها مطلية بالدقيق! ... ولعلَّ أصحابها من الخبازين!

بلبروس: لكن ... لماذا اجتمع كلُّ هؤلاء في مثل هذه الساعة؟

كريميس: أوَيمكن أن يكون هناك غرض آخر غير المداولة في أمر إنقاذ الدولة؟!

بلبروس (هازئًا)**:** نعم! ... بالخطب والكلام! ... لا شك أن الخطباء قد انبروا من كل مكان بألسنة كالسيوف المسلولة، يحسبون أنهم بها يصلحون أمور الدولة.

كريميس: آه ... وحق «زيوس»، لقد حدث الآن بالمجلس حدث لا يمكن أن يخطر لك على بال!

بلبروس: ماذا حدث؟!

كريميس: لقد نهض من وسط الجمع شاب أبيض البشرة، وسيم الطلعة، وجعل يخطب في الناس ويقول: «ينبغي أن نعهد بشئون الدولة إلى النساء، وأن نضع في أيديهن زمام الحكومة!»

بلبروس (في عجب)**:** ماذا تقول يا «كريميس»؟!

كريميس: هذا ما حدث، وحق الإله «زيوس»!

بلبروس: وهل وافق هذا الخطيبَ أحدٌ من الحاضرين!

كريميس: نعم! ... جميع طائفة الخبازين! ... أعني أصحاب الوجوه البيضاء، هؤلاء الذين حدثتك عنهم؛ فلقد ارتفعت أصواتهم وعلا هتافهم حتى بلغ مسرى السحب ومدار النجوم! ... وتبعهم آخرون مهللين مرحبين مصادقين على ما اقترح الخطيب!

بلبروس: عجبًا ... السلطة توضع في أيدي النساء؟!

كريميس: ولقد مضى الخطيب، بصوته الحار المتلئ شبابًا، يمدح المرأة ويثني عليها ويرفعها إلى السماء، وينتقص من قدرك ويرميك بكل شائبة وشائنة!

بلبروس: ماذا قال؟

كريميس: قال أولًا: إنك وغد!

بلبروس: وأنت؟ ...

كريميس: مهلًا حتى أُتِمَّ ... ثم قال: إنك لص!

بلبروس: أنا وحدي؟

كريميس: ثم قال بعد ذلك، وحق «زيوس»: إنك أناني ... ميت الضمير ... فاقد الشرف!

بلبروس: أنا بمفردي؟!

كريميس: أنت ومن على غرارك من بقية الرجال!

بلبروس: وأنت منهم طبعًا!

كريميس: طبعًا!

بلبروس: وماذا قال أيضًا هذا الخطيب؟!

كريميس: قال: إن المرأة مخلوق ممتلئ بالفطنة والحكمة، وإنها هي التي تدبر الثروة، وتنظر دائمًا إلى الغد، وتبذل راحتها من أجل سعادة بيتها ... بينما أنت ...

بلبروس: وأنت أيضًا؟!

كريميس: نعم! ... أنا وأنت وبقية الرجال لا نفكر إلا في أنفسنا، ولا نعرف غير بعثرة المال فيما لا يفيد، وإحداث الفوضى في هذا البيت الكبير!

بلبروس: نعم! ... وحق الآلهة! ... إن الخطيب لم يخطئ كثيرًا في هذا!

كريميس: ثم قال بعد ذلك: إن النساء أمينات صادقات، فهن يتقارضن فيما بينهن الحلي والثياب والأواني والنقود، من دون أن تقوم على هذه القروض شهود، ومع ذلك يوفين بالعهد في غير إبطاء ... أما الرجال فإنهم لا يتقارضون إلا علنًا، ولا يتعاملون إلا بعقود مكتوبة وصكوك مختومة؛ فلا يرعون — على الرغم من ذلك — ذمة في أكثر الأحيان، ولا يُرَى منهم غير الخَتْل والمَطْل والخداع!

بلبروس: إي وحق الآلهة ... هذا أيضًا صحيح!

كريميس: وقال كذلك: إن المرأة محبَّة بطبعها للحرية، وإنها من أجل ذلك لا تتآمر على قلب الديمقراطية. ومضى الخطيب على هذا النحو ينسب إلى النساء كل فضيلة أنزلتها السماء!

بلبروس: وبعدُ؟!

كريميس: وبعدُ فمن يدري؟! ... ليس ببعيد أن يتقرر وضع الحكم في أيدي النساء!

بلبروس: يا للعجب!

كريميس: ما وجه العجب؟! ... إن الشعب — فيما أرى — مغتبط لذلك؛ إذ لم يسبق لـ «أثينا» أن وقع فيها هذا الحدث!

بلبروس (مفكرًا)**:** سيُعهَد إذن إلى النساء بما كنا نقوم به نحن الرجال؟!

كريميس: هو ذاك!

بلبروس: فأنا القاضي لن أذهب بعدَ اليوم إلى المحكمة؛ بل امرأتي تذهب بدلًا مني!

كريميس: ولن تَعُولَ كذلك، بعد الآن، أهلَك وذويك؛ بل امرأتك تتولى ذلك عنك!

بلبروس: ولن أكدَّ إذن، ولن أشقى طول النهار!

كريميس: لا، وحق «زيوس»؛ فالنساء سوف يتحملن عنك كل شيء ... أما أنت فسوف تقبع في دارك مستريحًا ناعمًا، لا تعرف الكد ولا العناء!

بلبروس: هنالك مع ذلك شيء يدعو إلى الخوف والقلق! ... أتدري ما هو؟!

كريميس: ما هو؟!

بلبروس: إن النساء إذا تسلمن قياد الحكم، فإنهن سوف يُرغِمنَنا نحن الرجال الضعفاء بالقوة.

كريميس: يرغمننا على ماذا؟

بلبروس: على مغازلتهن!

كريميس: وإذا لم نفعل؟!

بلبروس: قد يمنعن عنا الطعام والشراب!

كريميس: إذن فلنغازلهنَّ، فنضمن على الأقل ألا نموت جوعًا!

بلبروس: ولكن الإرغام على كل حال، والالتجاء إلى القوة في مثل هذه الأمور، والمغازلة بأمر القانون والدستور؛ شيء مخيف!

كريميس: فيما يتعلق بي وبهذا الأمر بالذات؛ فإني أطيع نصوص القانون وأنفذ قرار الحكومة، وأحترم روح الدستور!

(صياح يرتفع بعيدًا .)

بلبروس (يصيخ السمع)**:** اسمع! ... اسمع! ... ما هذا الصياح؟

كريميس: نعم! ... ما هذا الصياح؟!

(رجل يأتي ركضًا، وخلفه كثيرون يصيحون.)

الرجل (مناديًا)**:** يا أهل «أثينا»! ... قرر المجلس إعطاء السلطة للنساء!

(ستار)

الفصل الثاني

(قصر الدولة ... «براكسا جورا» تسير مفكرة ذَهابًا وإيابًا في القاعة ذات الأعمدة اليونانية، وقد وقفت بالباب كاتمةُ السر، وهي جارتها القديمة.)

براكسا (كالمخاطبة لنفسها): ها هو ذا الحكم في أيدينا! ... وها أنا ذي صاحبة السلطان! ... آه! ... معونتك أيها الإله «زيوس»!
كاتمة السر (ترهف الأذن): اسمعي!

(صوت هتاف يقترب.)

براكسا: ما هذا أيضًا؟
كاتمة السر: إنها إحدى طوائف الشعب ولا ريب، جاءت تحيي رئيسة الحكومة.
براكسا (في مرارة): بل قولي إنها جاءت تسألني مطالب جديدة!
كاتمة السر: لقد وعدنا كل طائفة بتحقيق أحلامها وتنفيذ رغائبها!

(يعلو الصياح في الطريق.)

الهتاف (في الخارج): يا «براكسا جورا»! ... يا رئيسة الحكومة!
براكسا (تتَّجه إلى الشرفة): يا أهل «أثينا»! ... يا أهل «أثينا»! ... إني أحييكم، وأسأل الآلهة أن تلهمني ما فيه الخير لكم!
صوت (من بين الشعب): ألم تلهمك الآلهة بعد ما فيه الخير لنا؟!
براكسا: من أنتم؟
الصوت: نحن أصحاب الديون!

براكسا: آه ... وما تريدون أن أصنع لكم أنتم أيضًا؟

الصوت: تفكرين في أمرنا، كما فكرت في أعضاء المجلس! ... إنك قد رفعت «جُعلهم»، كي تضمني لنفسك التأييد!

براكسا: إني ما طلبت الحكم إلا لخيركم ورخائكم!

الصوت: إن الرخاء الموعود إنما أسبغ على أفراد معدودين ... والأسطورة لم تتغير، وكل شيء كما كان!

براكسا: وما هي مطالبكم الآن؟!

الصوت: إصدار قانون يصون أموالنا، ويقضي بإعدام كل مَدِين لا يدفع ما عليه فورًا!

براكسا (في دهشة): إعدامه؟!

الصوت: حرقًا!

براكسا: حرقًا؟!

الصوت: أو شنقًا!

براكسا: شنقًا؟!

الصوت: أو غرقًا! ... لك مطلق الخيار، وواسع الحرية!

براكسا: نعم! ... يا لها من حرية واسعة!

الصوت: هذا كل مطلبنا ... عِدِينا بتحقيقه!

براكسا: أعدكم بالتفكير فيه، وأرجو منكم أن تنصرفوا هادئين!

الهتاف: قد وعدت «براكسا جورا»! ... قد وعدت «براكسا جورا»!

(ينصرفون ويعود الهدوء.)

براكسا (ترجع إلى القاعة): أف!

كاتمة السر (تنظر إليها): العرق يسيل من جبينك!

براكسا: عسى أن يكون هؤلاء آخر المطالبين ... أيتها الإلهة «أرتميس»!

كاتمة السر (تنظر إلى وجهها): أذكر يوم كنت أراك تهيئين الطعام في المطبخ قرب النار أن العرق كان يتصبب من وجهك بهذا المقدار!

براكسا: أترين ذلك؟!

كاتمة السر: بل لقد كان وجهك أشد نضرة وأكثر إشراقًا.

براكسا (في قلق): أوَجهي الآن غير جميل؟!

كاتمة السر: لست أقول ذلك!

براكسا: أحضري العطور!

كاتمة السر: أتريدين أن تتطيبي الآن؟!

براكسا: نعم!

كاتمة السر: أسيحضر اليوم القائد الشاب «هيرونيموس»؟!

براكسا (تنظر إليها مليًّا)**:** ماذا تعنين؟!

كاتمة السر: لا شيء! ... أليس اليوم موعد قدومه ليتحدث معك في رفع مرتبات الجيش؟

براكسا: بلى، هذا صحيح!

كاتمة السر: آه! ... إنه بطل جميل، ... كأنما نزل من صلب الإله «مارس»!

براكسا (في إطراق)**:** نعم.

كاتمة السر (باسمة)**:** إنه لا يشابه في شيء زوجك «بلبروس»!

براكسا (تلتفت إليها)**:** ماذا تعنين؟!

كاتمة السر: إنه نافع للدولة!

براكسا (في تنهد)**:** نعم ... ما أشد حاجتي إلى ساعد قوي!

كاتمة السر: تتكلمين باعتبارك حكومة، أم باعتبارك امرأة؟!

براكسا: عجبًا! ... من علمك هذه اللغة؟

كاتمة السر: الفيلسوف «أبقراط»!

براكسا (تلتفت إلى الباب)**:** نعم! ... نعم! ... تُرى لِمَ أبطأ اليوم؟!

كاتمة السر: إنه ولا ريب قادم! ... أيستطيع تخلفًا عنك؟ ... إنك النجم المشرق في سماء فكره!

براكسا: إنه عقل راجح!

كاتمة السر: نعم! ... أنت في حاجة إلى عقل وإلى عضد! ... إن خصومك يزدادون في كل يوم، وإن تلك المرأة الأخرى لتعد العدة كي تشرع في الهجوم عليك!

براكسا: المرأة الأخرى؟!

كاتمة السر: نعم! ... خليلة القائد «هيرونيموس» التي هجرها من أجلك!

براكسا: ماذا تصنع أيضًا تلك الحمقاء؟!

كاتمة السر: إنها ليست حمقاء! ... إنها فهمت أسلوبك في الوصول إلى الحكم، فصنعت كما صنعتِ! ... لقد أنشأت حزبًا آخر من النساء!

براكسا: إن الغيرة تأكل قلبها!

كاتمة السر: إنها تقول عنك أيضًا مثل ذلك!

براكسا: لو أنها نظرت إلى وجهها في المرآة، تلك العجفاء ذات الشعر الذي يشبه فراء الخراف!

كاتمة السر: إنها تقول: إن شعرك يشبه لحية التيس!

براكسا (صائحة في غضب): لحية التيس؟! ... لحية التيس؟!

(يدخل الفيلسوف «أبقراط» عندئذٍ، وهو يمشط لحيته بأصابعه، فيسمع الكلمة، فيقف مأخوذًا.)

الفيلسوف: ماذا قرع سمعي؟

كاتمة السر (على عجل وفي حيرة): لا! ... لا! ... تلك لحية أخرى!

براكسا (تُقبل على «أبقراط»): آه يا صديقي الفيلسوف! ... لماذا أبطأت عليَّ؟! ... إني ضيقة الصدر اليوم.

الفيلسوف: اليوم، والشمس تغمر الكائنات بالنور، وأنت تغمرين القلوب بالفرح؟!

براكسا (تقاطعه سريعًا): كيف ترى شَعْري؟!

الفيلسوف: جدائله تُزري بأشعة الشمس!

براكسا (تلتفت إلى كاتمة سرها ظافرة): لحية التيس؟!

الفيلسوف: ماذا قرع أذني؟!

كاتمة السر (تسرع مرتبكة): لا! ... لا! ... تلك ... تلك لحية أخرى!

الفيلسوف: كل كلام من فمك يا «براكسا جورا»، هو عسل في جوف نحلة، يخرج عذبًا شهيًّا على كل حال، وفيه غذاء طيب!

براكسا: للعقل؟!

الفيلسوف: للكبد!

براكسا: آه للفلاسفة! ... يعترفون لنا معشر النساء بكل فضيلة إلا فضيلة العقل!

الفيلسوف: ومن قال لك يا سيدتي إن العقل فضيلة؟!

براكسا: يا للعجب! ... أتكفر بالعقل أيها الفيلسوف؟!

الفيلسوف: ما فائدته؟! ... ها أنتِ ذي قد وصلت إلى الحكم بغير حاجة إليه!

براكسا: إن الشعب هو الذي اختارني للحكم!

الفيلسوف: اختيار موفَّق جميل! ... وهو دليل آخر على أن الشعب يستطيع أن يُحسن الاختيار من دون أن يلجأ إلى «العقل» ... ولو شاء سوء الطالع أن يرزق الشعب ذرة من العقل لما ظفر باختيارك لسياسة الدولة!

براكسا: ماذا تريد أن تقول؟!

(يُسمَع عندئذٍ صوت صياح وهتاف يقترب.)

الفيلسوف: ما هذا؟

كاتمة السر: يا للآلهة! ... هتاف جديد؟!

براكسا: رفقًا أيها الإله «زيوس»!

الشعب (في الخارج وقد اقترب)**:** يا «براكسا جورا»! ... يا «براكسا جورا»!

براكسا (تُسرع إلى الشرفة)**:** يا أهل «أثينا»! ... إني أحييكم، وأسأل الآلهة أن تلهمنا ما فيه خيركم.

صوت (من بين الشعب)**:** إنك صنعت ما فيه هلاكنا!

براكسا: من أنتم؟!

الصوت: المدينون المساكين.

براكسا: ماذا تريدون؟

الصوت: إصدار قانون يعفينا من دفع ما علينا من ديون! ... وإعدام كل دائن مأفون يطالبنا بشيء!

براكسا: إعدامه؟

الصوت: حرقًا!

براكسا: أو شنقًا؟!

الصوت: أو شنقًا!

براكسا: أو غرقًا؟

الصوت: أو غرقًا؛ كما تشائين! ... إن لك لمطلق الحرية!

براكسا: نعم! ... نعم! ... أشكر لكم هذه الحرية التي تمنحونني إيَّاها دائمًا في سخاء!

الصوت: هذا كل مطلبنا!

براكسا: سأفكر فيه! ... أرجو منكم الانصراف! ... ألتمس إليكم أن تتركوني في هدوء!

الصوت: عِدِينا أولًا؟!
براكسا: أعدكم بفعل ما فيه نفعكم! ... انصرفوا الآن!
الهتاف (في الخارج)**:** وعدتنا «براكسا جورا»! ... وعدتنا «براكسا جورا»!

(تبتعد الأصوات، ويعود السكون.)

براكسا (ترجع من الشرفة)**:** آه! ... يا له من عمل شاق ... يا له من عبء ثقيل!
الفيلسوف: ما لي أرى الوجه المشرق قد حجبه الشحوب؛ كما يحجب الشمسَ الغروب؟!
براكسا: ألم تسمع ما قالوه؟!
الفيلسوف: مطالب ... وأنتِ خير مَن ينهض بها!
براكسا: أأقتل لهم الدائنين شنقًا؟!
الفيلسوف: أو حرقًا؟
براكسا: أأصنع هذا؟!
الفيلسوف: في يدكِ الحوْل والطوْل!
براكسا: كيف أستطيع ذلك؟
الفيلسوف: لقد ارتفعْتِ إلى هذا المكان لأنكِ تستطيعين ... ولقد طلبتِ أن تُمنَحي السلطان؛ كي تُرضي الناس أجمعين!
براكسا: أعدم الدائنين من أجل المدينين ... وأعدم المدينين من أجل الدائنين؟ ... بهذا وحده أحقق المطالب؟!
الفيلسوف: وبهذا ترضين الجميع!
براكسا: أتسخر مني؟!
الفيلسوف: يا سيدتي الجميلة! ... إن الفلاسفة قد يستطيعون أن يسخروا من وجه الحقيقة، ولكنهم لا يستطيعون أن يسخروا من وجه الحسناء!
براكسا: حسناء؟! ... ما أجمل الكلمة! ... آه يا صديقي «أبقراط»! ... إن هذه الكلمات تُنعش قلبي، لكن ...
الفيلسوف: لكن؟!
براكسا (في تنهد)**:** لكنها «كلمات»!
الفيلسوف: ما دامت تُنعش قلبَك، فما يَضيرك أن تُسمَّى «كلمات»؟!
براكسا: صدقت! ... لكن مع ذلك، ما فائدة الكلمات؟

الفيلسوف: فائدتها أنها تُنعش القلبَ إذا قيلت لامرأة، وتوصل إلى الحكم إذا قيلت لأُمَّة!

كاتمة السر (عند الباب مسرعة)**:** «براكسا»! ... «براكسا»!

براكسا (تلتفت إليها)**:** ماذا تريدين؟!

كاتمة السر: «هيرونيموس»!

براكسا: «هيرونيموس»؟! ... أسرعي! ... أسرعي! ... المرآة ... المرآة!

الفيلسوف: هدِّئي من روعك! ... وثقي بأنك جميلة!

براكسا: أيراني هو أيضًا كذلك؟

الفيلسوف: إن كانت له عين ترى الجمال!

كاتمة السر (همسًا وعينها إلى الباب)**:** ها هو ذا.

هيرونيموس (يدخل ويشير بالتحية)**:** «براكسا جورا»!

براكسا: «هيرونيموس»!

هيرونيموس: الحرب على الأبواب!

براكسا: الحرب؟!

هيرونيموس: أهل «مقدونيا» عادوا إلى استفزازنا، نحن أهل «أثينا»!

براكسا: آه! ... لا تُفزعني بذكر الحرب!

هيرونيموس: أَتُقِرِّينَ إذن بالضعف؟!

براكسا (في حيرة)**:** ليس ضعفًا!

الفيلسوف: نعم! ... ليس ضعفًا ... تلك رقة مزاج، ورقة شعور!

هيرونيموس: صه!

الفيلسوف: عجبًا! ... من ذا الذي يمنعني من إبداء رأيي؟!

هيرونيموس: أنا!

الفيلسوف: وما حجَّتُك في كَمِّ فمي، وحبس لساني؟

هيرونيموس (يشير إلى سيفه)**:** هذا!

الفيلسوف: آه! ... نعم! ... نعم! ... حجة دامغة! ... لكن سيدتي ...

هيرونيموس (لبراكسا)**:** أتأذنين لهذا الرجل بالكلام؟

براكسا: إني آذن للناس كافة بأن يقولوا ما يشاءون، ويفعلوا ما يريدون.

الفيلسوف: نعم! ... إنها الحرية الجميلة التي في كَنَفها تغرِّد العصافير، وتنطلق الزنابير، وتتفتح الورود.

هيرونيموس: وتثرثر القرود!
براكسا: يا عزيزي «هيرونيموس»! ... لم لا يتسع صدرك لكل كلام؟
هيرونيموس: فليتسعْ صدركِ أنت إذن لهؤلاء!
براكسا (في قلق)**:** مَن هم أيضًا؟
هيرونيموس (يتَّجه إلى الشرفة ويصيح)**:** أيها الجيش!
هتاف (في الخارج)**:** يا «براكسا جورا»! ... ارفعي المرتبات! ... يا «براكسا جورا»! ... ارفعي المرتبات!
براكسا: آه! ... أيتها الآلهة!
هيرونيموس: هذا ما يريدون!
براكسا: أأدفع ثلثَي ذهب الدولة؟! ...
الفيلسوف: إلى رجال كل مهنتهم أن يجلسوا منتظرين حتى تتشاجر الدولة!
هيرونيموس (في شدة)**:** إذا لفظ هذا الرجل كلمة أخرى ...
براكسا: لماذا تغضب سريعًا لكلمة بَدَرَتْ أو فكرة عَرَضَتْ؟
هيرونيموس: فلنتحدَّث في شئون الدولة على انفراد!
براكسا: هلمَّ إلى حجرتي!

(يذهبان من أحد الأبواب.)

كاتمة السر (تغلق عليهما الباب، ثم تلتفت إلى الفيلسوف)**:** الآن، أتدري ماذا فعلا؟!
الفيلسوف: وقع أحدهما في أحضان الآخر!
كاتمة السر: وعانق ...
الفيلسوف: السيف الحمامة!

(يدخل «بلبروس»، وخلفه «كريميس».)

بلبروس (يُجيل بصرَه في المكان)**:** أين امرأتي؟!
كاتمة السر (تضع أصابعها على فمه)**:** إنها ... إنها ...
بلبروس: أين هي؟!
كاتمة السر: رئيسة الحكومة ... إنها الآن منهمكة في ... شئون الدولة!
بلبروس: أريد أن ألقاها في الحال!

(يتَّجه إلى باب الحجرة.)

كاتمة السر (تقف في سبيله): مستحيل ... إن شئون الحكومة ...

بلبروس: دعيني! ... أنا زوج الحكومة!

كاتمة السر (مستنجدة): إليَّ أيها الفيلسوف! ... أخبره! ... حدِّثه! ... أقنعه بعقلك الراجح!

الفيلسوف (كالمخاطب لنفسه): عقلي الراجح، كل فائدته الآن: أن يُلْجَأَ إليه في سَتر المواقف المخزية؟!

بلبروس (يلتفت إلى «أبقراط»): أرأيت امرأتي أيها الفيلسوف؟!

الفيلسوف (يشير إلى باب الحجرة): إنها خلف هذا الباب، قد ارتمت في أحضان ... مشكلات الدولة!

بلبروس: أهو أمر خطير يَشغل امرأتي؟!

الفيلسوف: لا يَشغل امرأتك أخطر منه!

بلبروس: أيطول هذا الأمر؟

الفيلسوف: تلك مسألة مزاج!

بلبروس: فلننتظرها إذن، ولنتمسك بالصبر!

الفيلسوف: تلك عين الحكمة!

(بلبروس يلتفت إلى صاحبه «كريميس».)

بلبروس: اجلس يا «كريميس»! ... إن شئون الدولة أَولى منا!

كريميس: اسمع يا صديقي «بلبروس»! ... إنها قد صنعت منك كبيرًا للقضاة، أنت الذي يصلح أن يكون كبيرًا للخراف! فلا أقل من أن تصنع مني أنا أيضًا كبيرًا ... لأي شيء!

بلبروس: إنها ستصنع ما فيه مصلحة الدولة!

كريميس: لا شأن لي بالدولة، ولا أحسبها تنظر دائمًا إلى مصلحة الدولة! ... إنها رفعت مرتبتك لأنك زوجها، وينبغي أن ترفع مرتبتي؛ لأني صديق زوجها!

بلبروس: لا يجدر بنا على أي حال أن نسرف في الطمع، أو نغلو في الطلب!

كريميس: عجبًا! ... ولماذا لا تفعل؟ ... إنها لم تترك امرأة من حزبها، ولا أحدًا من أصحابها إلا نثرت عليه النعم والخيرات، كما ينثر التراب!

بلبروس: من قال لك هذا؟

كريميس: أكثر أهل «أثينا» يتحدثون به ... ألم تسمع خطب الأحزاب التي تألفت لإسقاط «براكسا جورا»؟! إنها تضم الآلاف من الساخطين والساخطات ممن منعت عنهم الخيرات!

بلبروس: وما الذي منع عنهم الخيرات؟!

كريميس: بُعدهم عن «براكسا جورا»!

بلبروس: ولماذا ابتعدوا عن «براكسا جورا»؟!

كريميس: ليس في استطاعة كل الناس أن يقتربوا منها، وأن يُعَدُّوا في أصدقائها وأنصارها!

بلبروس: قول هراء ... إني أَعْرَفُ بزوجتي منك ... إن «براكسا جورا» لا تحابي أنصارًا ولا أعوانًا ... إنها النزاهة في صورة امرأة ... إن حكمها هو الحكم الصالح ... إن المسكينة تعطي جسدها وقلبها لدولتها ... انظر ها هي ذي خلف هذا الباب، غارقة في أحضان العمل ... العمل الجليل والفعل المجيد!

(الفيلسوف يلفظ ضحكة على الرغم منه!)

بلبروس: ما الذي أضحكك أيها الفيلسوف؟! ... أخبر صاحبي هذا، وحدِّثه، وأقنعه بعقلك الراجح!

الفيلسوف: دعوا عقلي الراجح في مكانه!

بلبروس: أخبرنا برأيك في «براكسا جورا»!

الفيلسوف: جميلة مثل «ڤينوس» كأنها ولدت في قشر لؤلؤة!

بلبروس: أعني رأيك في حكمها؟!

(هتاف يرتفع، ويقترب.)

الفيلسوف: اسمع!

الهتاف (في الخارج)**:** سحقًا لـ «براكسا جورا»! ... السقوط لـ «براكسا جورا»!

كاتمة السر (تجري مرتاعة إلى الشرفة)**:** أيتها الآلهة!

بلبروس (مضطربًا)**:** أيها الإله «زيوس»!

كريميس (ملتصقًا بصاحبه)**:** أيتها الإلهة «أرتميس»!

(«براكسا جورا» تخرج من الحجرة وحدها، تجري نحو الشرفة.)

براكسا: ما هذا الصياح؟
كاتمة السر (تلتفت إليها)**:** جموع كأنها البحر الطامي!
الهتاف (في الخارج)**:** السقوط لحكم «براكسا جورا»؟! ... السقوط لـ «براكسا جورا»!
براكسا (في اضطراب وحيرة)**:** ويلي! ... ويلي ... لن أستطيع مخاطبة كل هذه الجموع!

(«هيرونيموس» يظهر بباب الحجرة.)

هيرونيموس: أهو حزب آخر يناصبك العداء؟
براكسا: آه! ... لست أدري كيف تظهر الأحزاب الآن بهذه الكثرة من كل جانب؟!

(تخفي وجهها في كفيها.)

الفيلسوف: كما تظهر البُثور في الوجه الجميل!
هيرونيموس: وما الذي سمح لها بالظهور؟
الفيلسوف: فساد في المعدة!
هيرونيموس: نعم، والعلاج يسير: مسهِّل قوي يُحدث التنظيف والتطهير! ... دعوني أنا أتولى ذلك!
براكسا (تلتفت إليه صائحة)**:** «هيرونيموس»! ... «هيرونيموس»! ... ماذا تريد أن تصنع؟! ... ماذا تريد أن تصنع؟
هيرونيموس: الزمي حجرتك أيتها المرأة! ...

(ستار)

الفصل الثالث

(سجن مظلم، يأتي إليه نور قليل من نافذة ذات قضبان ... «الفيلسوف» ملقى على الأرض، وهو مكبَّل بالحديد ... يدخل السجان يحمل كسرة خبز، وإناءً به ماء.)

السجَّان: الفيلسوف نائم؟!

الفيلسوف: ليس لي عمل اليوم إلا النوم!

السجَّان (يضع أمامه الخبز والماء)**:** هلمَّ إلى الوليمة!

الفيلسوف: آه! ... جاء العهد الذي تسمَّى فيه الأشياء بغير أسمائها!

السجَّان: صه! ... لا تَزِد! ... نحن في عهد كله رخاء وهناء، وما من بيت إلا فيه وليمة!

الفيلسوف (يشير إلى الماء وكسرة الخبز)**:** مثل هذه؟!

السجَّان: ألا تريد أن تغلق فمك؟

الفيلسوف: لقد توليتم أنتم ذلك عني!

السجَّان: خير لك أن تأكل في صمت!

الفيلسوف: إن سيدك في حاجة إلى صمتي!

السجَّان: لا ينبغي أن يرتفع في الدولة صوت غير صوته!

الفيلسوف: أهو يتكلم وحده في الناس؟!

السجَّان: إنه معبود الناس!

الفيلسوف: «هيرونيموس»!

السجَّان: قل «هيرونيموس الظافر»!

الفيلسوف: ظافر في ماذا؟!

السجَّان: سوف يظفر بلا ريب في حرب أهل «مقدونيا» ... لقد أرسل إليهم جيشًا كالبحر!

الفيلسوف: أوَقَد أيقظ الحرب؟!

السجَّان: وجمع الغلال من الشعب! ... وبعثها مع الأموال لتزويد الجند!

الفيلسوف: والشعب يطعم ولائم كهذه الوليمة؟!

السجَّان: فلنتحمَّل كل حرمان ... طعامنا الحقيقي هو: «الانتصار»!

الفيلسوف: نعم! ... نعم! ... ما أدسمه طعامًا للشعب هذه الكلمات المنتفخة!

السجَّان: والآن حان لي أن أذهب

(يتحرك للانصراف).

الفيلسوف: كلمة أخرى أيها السجَّان ... أين «براكسا جورا» الآن؟!

السجَّان: وما يعنيك من أمرها؟!

الفيلسوف: إنها لا ترضى أن أقيم طويلًا في هذا المكان!

السجَّان: لا تلفظ اسم هذه المرأة!

الفيلسوف: أسَجَنَها أيضًا القائد الظافر؟!

السجَّان: بين ذراعيه!

الفيلسوف: ألم يعد لها رأي؟!

السجَّان: ولا صوت!

الفيلسوف: والمجلس؟!

السجَّان: تحوطه سيوف «هيرونيموس الظافر»؛ كما تحوط قدميك الأغلال!

الفيلسوف: أسلوب جميل!

السجَّان (يتحرك): والآن ...

الفيلسوف: والآن أخبرني أنت!

السجَّان: ماذا تريد أن تعلم أيضًا!

الفيلسوف: هل لك أبناء؟!

السجَّان: في الجيش!

الفيلسوف: وزوجتك وبناتك؟!

السجَّان: في البيت!

الفيلسوف: ماذا يصنعن؟!

السجَّان (في تنهد): يتضرعن!
الفيلسوف: نعم! ... نعم! ... فلنتضرع نحن أيضًا معهن إلى الآلهة!
السجَّان (يرفع عينيه إلى السماء): آه.

(صمت)

الفيلسوف (بعد إطراق): أترى الناس حقًّا راضين عن هذا العهد؟!
السجَّان (يلتفت إلى الباب مرتاعًا): صه! ... صه!
الفيلسوف: ماذا بك؟!
السجَّان: اسكت وحق «زيوس»!
الفيلسوف: لا تخف! ... لن يسمعنا هنا أحد!
السجَّان (يتحرك سريعًا): إني ذاهب!

(ينصرف)

الفيلسوف (يُقبل على الطعام): فلنأكل هنيئًا، ولنشرب مريئًا؛ فالكل مسوق إلى عين الوليمة!

(يرفع جرَّة الماء، ويَجْرَع جُرعات طويلة ... يهمس صوت في النافذة، خلف القضبان)

الصوت: يا صديقي «أبقراط»!
الفيلسوف (يلتفت): من هذا؟!
الصوت: ألا تعرف صوتي؟!
الفيلسوف: من أنت؟!
الصوت: أنا «براكسا»!
الفيلسوف (في فرح): نعم! ... نعم! ... أحس هذا النسيم الرقيق يهب على وجهي من بين القضبان!
براكسا: آه! ... إنه ليشقُّ عليَّ أنك وراء هذه القضبان!
الفيلسوف: وأنا يشق عليَّ أنك وراء هذه القضبان!
براكسا: نعم، إني مثلك ... وهذا عزائي!

الفيلسوف: إني خير منكِ؛ لأن سجني يُحَدُّ بهذه الجدران!
براكسا: آه! لا تذكِّرني بما أنا فيه!
الفيلسوف: ولا أذكِّرك بما كنا فيه؟!
براكسا: لقد كان حلمًا جميلًا!
الفيلسوف: إنا لم نزل في هذا الحلم!
براكسا: يا للكفران! ... أتسمي هذا أيضًا «حلمًا»؟!
الفيلسوف: أَوَتريدين أن نسميه «حقيقة»؟
براكسا: صدقت، إن «الحقيقة» لأَجَلُّ من أن تهبط إلى ما نحن فيه!
الفيلسوف: وإن «الحقيقة» لأكمل!
براكسا: وأجمل!
الفيلسوف: وأبقى!
براكسا: صدقت! فليكن هذا إذن حلمًا عارضًا غير جميل!
الفيلسوف: إنه كذلك!
براكسا: آه يا صديقي! ... إن مصيري ومصيرك في كفة ميزان، نرتفع معًا، وننخفض معًا!
الفيلسوف: هذا صحيح! على أن حركة الارتفاع والانخفاض لا تصيب رأسي بالدُّوَار!
براكسا: نعم! ... أنت العقل الذي يرى دائمًا.
الفيلسوف: في الظلام وفي النور!
براكسا: لا أنسى أنك قلت لي إني جميلة!
الفيلسوف: ولم يبهرني مع ذلك ضياؤك، فرأيت سيئاتك!
براكسا: أَوَكانت لي سيئات؟!
الفيلسوف: أرأيتِ كيف أنك لا ترين نفسكِ؟
براكسا: لقد كنت أنت مرآتي التي أطالعها كل صباح!
الفيلسوف: وماذا أخبرَتْكِ تلك المرآة؟!
براكسا: أنِّي جميلة!
الفيلسوف: ثم ماذا؟
براكسا: لا شيء غير ذلك!
الفيلسوف: آه! ... ما فائدة المرآة إذن، إذا كان الإنسان لا يرى فيها إلا ما يريد أن يرى؟!

براكسا: يا صديقي «أبقراط»! ... لا تَقْسُ اليوم عليَّ!
الفيلسوف: أنتِ في حاجة إليَّ؟!
براكسا: نعم! ... لم يعد أحد الآن يناجيني بتلك الكلمات التي كنت أسمعها منكَ!
الفيلسوف: من أجل هذا جئتِ الليلة إليَّ.
براكسا: بل من أجلكَ أنت!
الفيلسوف: لا تكذبي ... إني أبصر كل أرجاء نفسك! ... خبِّريني! ... ألا يناجيك «هيرونيموس» الظافر بمثل هذه الكلمات؟! ... ألا يقول لك أحيانًا إنك جميلة؟!
براكسا: إنه وحش!
الفيلسوف: إنه وحش جميل!
براكسا: إنه وحش!

(يد في الظلام تقع على كتف «براكسا جورا» وصوت يدوِّي.)

الصوت: ماذا جئتِ تصنعين هنا؟!
براكسا (تلتفت مرتاعة): «هيرونيموس»؟!
هيرونيموس: فيمَ كنتما تتحدثان؟
براكسا: في أشياء لا تستطيع أنت أن تحدثني بها؟
هيرونيموس: كنتما تتآمران؟!
براكسا: لماذا تطوف برأسك هذه الفكرة دائمًا؟!
هيرونيموس: تعالَي! ... سيصدقني القول هذا الرجل!

(يجذبها من يدها، ويبتعدان عن النافذة، ثم يدخلان بعد قليل من باب السجن على «أبقراط».)

الفيلسوف (في سخرية خفية): يا للمجد! ... «هيرونيموس» الظافر يشرفني بالزيارة؟!
هيرونيموس: لا لزوم للمَلَق! ... أنت تعرف أني أبغضك!
الفيلسوف: إنه أيضًا لمجد أن يبغضني مثلك!
هيرونيموس (في ارتياب): ماذا تعني؟!
الفيلسوف: على أني أسائل نفسي: أيهما تبغض مني: أرأسي أم فمي؟!

هيرونيموس: كلاهما قبيح!

الفيلسوف (يلتفت إلى «براكسا» ساخرًا)**:** عجبًا! ... ها هو ذا يعرف القبح، ومن يعرف القبح يعرف الجمال! ... لا ينبغي إذن أن نسرف في اليأس.

هيرونيموس: نعم! ... إني أعرف الجمال! ... الجمال هو القوة!

براكسا (تتنهد)**:** وا أسفاه!

هيرونيموس: ما أقبح هذه التنهدات!

الفيلسوف: ما أجمل هذه التنهدات!

هيرونيموس: أرأيت كيف أني أحسنت صنعًا بسجنك؟! ... إنك لا ترى قط ما أرى!

الفيلسوف: ليس هذا ذنبي!

هيرونيموس: أنت تعلم أني لا أحب الجدل ... لكن ... فلنترفق بك ما دمنا في ضيافتك ... ولنسألك في هدوء: ما وجه الجمال في هذه التنهدات؟!

الفيلسوف: إنها صوت بليغ لنفس سجين!

هيرونيموس: لست أرى هذا الصوت بليغًا على الإطلاق!

الفيلسوف: ذلك لا يدهشني منك!

هيرونيموس: لماذا تملئون الدنيا أوهامًا أيها الفلاسفة! ... وما الدنيا أمامنا سوى حقيقة، والأرض تحت أقدامنا حقيقة، وكل شيء من حولنا حقيقة!

الفيلسوف: وما هي الحقيقة؟!

هيرونيموس: هي ... هي كل ما وقع في قبضتي!

الفيلسوف: هنالك أشياء كثيرة لا تقع في قبضتك!

هيرونيموس: ما لا يملأ قبضتي ليس عندي بحقيقة!

الفيلسوف: «الحقيقة» التي تملأ قبضتك لا بد أن تكون «حقيقة» صغيرة!

براكسا: مثلَ الحقيقة التي تملأ في الغابة مِخْلَب النمر!

هيرونيموس: نعم! ... الحقيقة التي تملأ مخلب النمر! ... لماذا النمر أيتها العزيزة «براكسا جورا»؟! ... ولم التلطف في التعبير؟... لماذا لا تقولين الوحش؟!

براكسا (في اضطراب)**:** أسمعت؟!

هيرونيموس: نعم! ... سمعت ولم أغضب! ... إني كما ترى أيها الفيلسوف لا أغضب أبدًا من ذكر الحقائق!

الفيلسوف: نعم! ... لكن بَقِيَ أن تعرف — أيها ... «الوحش»! — ... واحدة من بينها ... تلك على الأقل حقيقة قد فرغنا منها!

هيرونيموس: نعم! ... تلك التي تملأ مخلب النمر! ... أتدري أيها الفيلسوف ما هي تلك الحقيقة؟!

الفيلسوف: الدم؟!

هيرونيموس: القوة!

الفيلسوف: ما دمت تسجن الرأس وتكمُّ الفم، فإن القوة عندئذٍ هي الدم!

براكسا: آه! ... إني لم أكن قط أبغض الرأس والفم!

هيرونيموس: هذا صحيح! ... لقد تركتِ أصحاب الرءوس يَهرِفون، وأصحاب الأفواه يهتفون، فكثرت المطالب، وارتفع الصياح!

براكسا: ينبغي أن أفعل ذلك؛ فما أنا إلا الحرية الجميلة؛ كما يقول الفيلسوف العظيم!

هيرونيموس: ما أنتِ إلا الفوضى!

براكسا (في سخرية خفية)**:** وأنتَ؟!

هيرونيموس: أنا النظام! ... أسمعتِ منذ أن قبضت يدي على الحكم أن قامت طائفة بطلب؟... أو هَرَفَ أحد برأي؟... أو فُتِحَ فم بصياح؟... أو ارتفع صوت بهتاف؟... مضى كل هذا، وانقضى عهد الأحزاب، وانمحت الخلافات والمنازعات والمنافسات! ... لقد جمعتُ شمل الأمة، ووحدت كلمة البلاد! ... الكل الآن كأنه واحد! ... والشعب كأنه فرد!

الفيلسوف: هو أنتَ!

هيرونيموس: نعم! ... هو أنا، ولا شيء غيري أنا، ولا إرادة إلا إرادتي، ولا يد إلا يدي! ... وسأعطي الشعب بهذه اليد أَخْلَدَ المجد!

براكسا: ما هو هذا المجد!

هيرونيموس: الظفر والانتصار!

براكسا: كلمات!

هيرونيموس (يضحك)**:** آه ... أنتِ التي تقول هذا؟! ... أنتِ التي ما وصلت إلى الحكم إلا بكلمات؟!

براكسا: نعم! ... إني أعطيت الشعب كلمات؛ لكني لم آخذ منه شيئًا، أما أنت فقد أخذت حريته وغلاله وأعطيته كلمات!

هيرونيموس: إن الظفر والانتصار ليسا كلمات.

براكسا: وإن لم تظفر ولم تنتصر؟!

هيرونيموس: فإني أموت!

براكسا: ويموت الشعب معك!

هيرونيموس: إن كان قدْ قُدِّرَ للشعب أن يموت، فخير له أن يموت بيد البطولة، من أن يموت بيد الضعف والفوضى!

براكسا: وهل خيَّرتَ الشعب بين المِيتَتَيْنِ؟!

هيرونيموس: إنه لن يتردَّد في الاختيار!

براكسا: أتحسب الشعب راضيًا عن حكمك؟!

هيرونيموس (ساخرًا)**:** لا ... إنه كان راضيًا عن عهدك أنت!

براكسا: يا صديقي الفيلسوف! ... اقضِ بيننا بعقلك الراجح!

هيرونيموس: أتظنين هذا القاضي يستطيع الحكم وهو مكبَّل بالأغلال؟

الفيلسوف: أغلالك في قدمي، لا في رأسي!

براكسا: تكلم إذن: أي الحكمين أصلح؟!

الفيلسوف: سَلَاني أيُّ الحكمين أفسد؟!

براكسا (في عَتْب)**:** أهكذا تسمِّي حكمي؟!

الفيلسوف: لقد كنتِ تحكمين بمفردكِ ... وأنت بمفردكِ اسمك: «الفوضى»!

هيرونيموس (صائحًا مقهقهًا)**:** أحسنت! ... أحسنتَ أيها الفيلسوف! ... لقد اتفقنا آخر الأمر! ... أرأيتِ أيتها العزيزة؟!

براكسا (تشير إلى «هيرونيموس»)**:** وهو؟!

هيرونيموس (لأبقراط)**:** نعم ... وأنا؟!

الفيلسوف: أنت أيضًا تسيطر وحدك، وأنت وحدك اسمك: «الهمجية»!

براكسا (ضاحكة)**:** أسمعت؟!

هيرونيموس: وأنت أيها الفيلسوف المخرف؟!

الفيلسوف: أنا لا أحكم قط وحدي!

هيرونيموس (هازئًا)**:** أتريد إذن أن تشاركني في الحكم؟!

الفيلسوف: وأن تكون معنا «براكسا جورا»!

هيرونيموس: نحن الثلاثة!

الفيلسوف: نعم، نحن الثلاثة، وثلاثتنا معًا اسمنا: «المدنيَّة»!

براكسا جورا: يا صديقي «أبقراط»! ... أوَنستطيع — أنا وأنتَ — أن نأمن طغيانه وهو معنا؟!

هيرونيموس: وهل أستطيع أنا أن أقرَّ النظام في الدولة، وأنتما معي؟!

الفيلسوف: هذا ما ينبغي أن يكون ... يجب أن يسير أحدنا إلى جانب الآخر، من دون أن يطغى أحدنا على الآخر.

براكسا: وكيف يتم ذلك؟!

الفيلسوف: لا بدَّ لنا من إصبع يحرك خيوطنا الثلاثة، ويعرف سر التأليف بيننا، ويلعب بنا لعب الساحر بتفاحات ثلاث، ينثرها ويجمعها فوق يده، من دون أن تتصادم أو تلمس واحدة الأخرى!

براكسا: ومن لنا بهذا الإصبع؟!

الفيلسوف: تلك هي المشكلة!

هيرونيموس (ضاحكًا هازئًا)**:** آه للفلاسفة! ... كلام ضخم كقطع السحاب، ثم ينكشف الأمر عن لا شيء.

الفيلسوف: هنالك أشياء ينبغي للبشر أن يتركوا أمرها للسماء ... مسألة الحكم واحدة منها.

براكسا: نعم! ... إن الآلهة أحيانًا هي التي تنصِّب الملوك للحكم في الأرض!

الفيلسوف: وإن البشرية أحيانًا لترتاح قليلًا، إذ تلقي تَبِعة حكم الأرض على اختيار السماء!

هيرونيموس (صائحًا)**:** كفى! ... إني لست أُومن بالحق الإلهي، ولا بأي حق للسماء في أن تتدخل في شئون الأرض!

الفيلسوف: هذا أيضًا صحيح! ... إن كبير الآلهة «زيوس» إذ صنع الأرض، قد وضع فيها كل قوانين حركتها، وأسرار حياتها ... ففي قدرته أن ينام هادئًا في «الأولمب» كما يشاء، وهي سائرة من تلقاء نفسها ... لقد جعل في كل شيء بذور كل شيء؛ ففي الضعف جراثيم القوة، وفي القوة جراثيم الضعف! ... كل شيء يتوالد من كل شيء، ويتفاعل ويتتابع في دائرة دائمة! ... على أن هنالك لحظات موفقة نادرة، تُنتج فيها الحركة بعض التقارب بين الأضداد، ويُحدث فيها التفاعل والمصادفات شيئًا من التوازن بين العناصر؛ فإذا التفاحات الثلاث قد رقصت رقصات متناسقة فوق كفٍّ سعيدة ... وهنا تخطو البشرية خطواتها «الهرقلية» النادرة، في شبه نشوةٍ عارضة من النواميس الدائرة!

هيرونيموس: من قال إن في القوة بذور الضعف؟! ... أأنا أحمل الآن في طياتي جراثيم الضعف؟!

الفيلسوف: هذا لا ريب فيه! ... ولقد بدت البوادر!

هيرونيموس (في غضب): البوادر هي طول إصغائي إلى هرائك! ... نعم ... إني أرى جراثيم الضعف حولي: أنت وهذه المرأة! ... أنتما وحدكما جراثيم ضعفي! ... وإنها لمفخرة من مفاخر حكمي اليقظ أن أضع مثلك في السجن ... إن ما يسمونه فيلسوفًا خطيرًا ليس إلا متآمرًا خطرًا على سلامة الحكم القوي!

براكسا: حتى أنا؟!

هيرونيموس: نعم ... وأنتِ أيضًا ... بعد الذي رأيتُ اليوم وسمعتُ من مطامعكِ ومطامع فيلسوفكِ! ... لا أمان لي بعد الآن ولا اطمئنان إلا أن أراكِ هنا إلى جانبه! ... أيها السجَّان! ... أيها السجَّان!

السجَّان (يظهر): هيرونيموس الظافر؟!

هيرونيموس (يشير إلى براكسا جورا): ضع الأغلال في أقدام هذه المرأة!

(ستار)

الفصل الرابع

(عين المنظر الثاني ... قاعة قصر الدولة ... «هيرونيموس» يقطع القاعة جيئةً وذهابًا في اضطراب شديد ... الباب يطرق ... ثم يدخل أحد حراسه.)

الحارس (يؤدي التحية): إنهما هنا.
هيرونيموس: أدخلهما!

(الحارس يخرج ... ولا تمضي لحظة حتى تدخل «براكسا جورا» ومعها الفيلسوف.)

براكسا: أطلقت سراحنا!
هيرونيموس: الأخبار ليست سارة!
براكسا: بالنسبة إلينا؟
هيرونيموس: بالنسبة إليَّ أنا على الأخص!
الفيلسوف: يبدو عليك ذلك!
هيرونيموس: هل تذكران قولي لكما في السجن عمَّا يمكن أن يحدث إذا لم أنتصر؟
براكسا: هل انهزم الجيش؟
هيرونيموس: نعم! ... وهو عائد إلى المدينة؛ بل هو الآن على الأبواب!
براكسا: معنى هذا ...
هيرونيموس: الثورة!
براكسا: ضدكَ أنت!
هيرونيموس: بالطبع.

براكسا: حقًّا! ... ثورة الجيش والشعب معًا ... لأنك غامرت بهما، وقامرت وخسرت!

هيرونيموس: هذا شأني أنا.

براكسا: والنتيجة؟

هيرونيموس: موتي بيد الثائرين أو بيد الأعداء، وهو ما يجب ألا أنتظره!

الفيلسوف: بالاختصار قررت أن تموت بيدك، لا بيد غيرك!

براكسا (صائحة): تنتحر يا «هيرونيموس»؟!

هيرونيموس: لا بدَّ من هذا.

الفيلسوف: وما شأننا نحن في كل هذا؟! ... لماذا جئت بنا الساعة؟... ألكي نختار لك طريقة موتك؟

براكسا: مهلًا يا صديقي «أبقراط»! ... رفقًا ولا تسخر به مهما يكن من أمر سلوكه معنا؛ فهو الآن في محنة ... إنه الآن في حاجة إلى كلمة عطف!

الفيلسوف: أظن أنه الآن في حاجة إلى شيء أجدى من هذا!

براكسا (في أمل): أتستطيع إنقاذه؟!

الفيلسوف (ساخرًا): أنا؟!

هيرونيموس: كفى هراءً! ... الوقت ضيق ... فلنتكلم فيما دعوتكما من أجله ... إن موتي وحده لن يحل المشكلة، ولن يَحُول دون وقوع الشغب والفوضى، لا بدَّ من قيام حكومة جديدة تواجه الموقف ... أفهمتما قصدي؟

براكسا: تقصد ...

هيرونيموس: أقصد أن تتولَّى أنتِ السلطة يا «براكسا».

براكسا: أنا؟!

هيرونيموس: نعم! ... وفي الحال؛ كي تعلني إلى الناس خبر موتي وذهاب عهدي، وتسرعي في معالجة الأمور التي ستسفر عنها الحوادث!

براكسا: لا ... لا أستطيع!

هيرونيموس: تستطيعين!

براكسا: وعلى تأييد مَن سأستند في الحكم؟

هيرونيموس: على تأييد الشعب!

براكسا: ومن أدراكَ أن الشعب سيؤيدني؟

هيرونيموس: إن الشعب توَّاق إلى أي تغيير، وسيستقبلك بالحماسة التي استقبلك بها في يومك الأول، والتي استقبلني بها في يومي الأول، والتي يستقبل بها كل حاكم جديد في يومه الأول!

الفيلسوف: واليوم الثاني؟

براكسا: نعم ... اليوم الثاني عندما يصحو الشعب من نشوة الفرح بالجديد، ويبدأ في التقدم بالمطالب!

هيرونيموس: مشكلتنا الآن هي في اليوم الأول!

براكسا: ما رأيك يا عزيزي أبقراط؟

الفيلسوف: أنت تعرفين رأيي.

براكسا: نعم وا أسفاه! ... أعرف رأيك في حكمي!

هيرونيموس: دعكِ الآن من آرائه ... المطلوب الآن ليس حُكمًا مثاليًّا؛ بل أي حكم ... أي حكم جديد ... تشجَّعي! ... وأسرعي ... فإن الوقت أزِف ... وعما قليل نسمع لغط الجيش الداخل من الأبواب، وأصوات الشعب تستقبله بالنحيب، ثم زمجرة الغضب وهدير الوعيد، ثم زحف الجموع كلها إلى هنا كأمواج البحر الهائج ... كل ذلك بسرعة قد تسبق حسابنا ... وعندئذٍ الويل لنا!

براكسا: وتريد أن تلقي بي أنا في هذه العاصفة؟

هيرونيموس: يجب أن تفعلي! ... لا بدَّ من رُبَّان يمسك الآن بالدَّفَّة!

براكسا (مترددة): الآن؟!

هيرونيموس: نعم ... الآن! ... لأني بعد لحظة سأدخل الحجرة المجاورة وأغلقها عليَّ!

الفيلسوف (ناظرًا إلى الحجرة): وحدك هذه المرة؟

هيرونيموس: بل مع الموت!

الفيلسوف: نعم ... موعد مع الحب، وموعد مع الموت! ... ما أقصر الفاصل بينهما في حياة أمثالك!

براكسا: هيرونيموس!

هيرونيموس (متحركًا نحو الحجرة المجاورة): وداعًا!

براكسا (في همسة): ستموت!

الفيلسوف: بماذا ستنتحر يا «هيرونيموس»؟

هيرونيموس: اقترح إذا شئت! ... هل لديك موتة نبيلة جديرة بي؟

الفيلسوف: ليست لديَّ خبرة بهذه الأمور!
هيرونيموس: لا تسأل إذن ... إني سأموت كجندي؛ سأغمد سيفي في صدري.

(يتحرك)

براكسا: «هيرونيموس»! ... «هيرونيموس»! ... قبل أن تذهب ... أليس لي أن أطلب إليك شيئًا؟
هيرونيموس (يقف): ماذا؟
براكسا: أُقَبِّلُكَ!

(يتعانقان)

(الفيلسوف يمشط لحيته، ثم يتنحنح!)

براكسا (تلتفت): معذرةً أيها العزيز «أبقراط»!
الفيلسوف: العفو! ... العفو!
هيرونيموس: والآن ... أتركك يا عزيزتي «براكسا» في عناية السماء! ... الوداع!

(يتَّجه نحو الحجرة المجاورة.)

براكسا (في صيحة): لا ... لا تذهب يا «هيرونيموس»! ... إني خائفة ... لن أستطيع أن أحكم!
هيرونيموس: تشجَّعي!
براكسا: لا أستطيع الحكم الآن بمفردي!
هيرونيموس: فليساعدك فيلسوفك!
الفيلسوف: أنا؟... من قال إن الفيلسوف يستطيع أن يحكم؟
هيرونيموس: أنت قلت ذلك ... ألا تذكر؟... أنسيت حديثك في السجن عن التفاحات الثلاث؟
براكسا: نعم... نعم... قلت ذلك يا «أبقراط» ... قلت: إن الحكم المثالي هو ذلك الذي يجمعنا نحن الثلاثة في كف واحدة!
الفيلسوف: هذا صحيح ... ولكننا لم نعد ثلاثة! ... ها هو ذا واحد منا ذاهب ليموت!
هيرونيموس: ولكنَّ الاثنين باقيان.

الفيلسوف: مائدة الحكم ككل مائدة ... لا تقوم على ساقين اثنتين! ... لا بد من ساق ثالثة!

براكسا (في صيحة): لديَّ فكرة!

هيرونيموس: أسرعي! ... الوقت أزف.

براكسا: لا ضرورة لموتك يا «هيرونيموس»! ... ابقَ معنا ... ولنتَّحد نحن الثلاثة ... ولنبحث عن تلك الكف التي يجب أن تحكم.

هيرونيموس: فات الأوان!

براكسا: لا ... لم يَفُتْ ... في الإمكان أن نعثر على شخص تنصِّبه ملكًا، ونقف نحن الثلاثة من خلفه.

هيرونيموس: ليس في الوقت الآن متَّسَع للبحث عن ملوك ... قلت لك إن الجيش الثائر على الأبواب.

براكسا: فلنحاول! ... ما رأيك أيها الفيلسوف؟! ... تكلم! ... بحق «زيوس»! تكلم!

الفيلسوف: فكرة مثل الروح الهائمة في الفضاء.

براكسا: أهذا وقت الفلسفة يا «أبقراط»!

الفيلسوف: وهل للفلسفة وقت إلا عندما تستعصي حلول الأشياء؟

براكسا: رأيك في فكرتي؟ ... تكلم وأسرع!

الفيلسوف: قلت لك هي كالروح الهائمة، لا تُرَى إلا إذا وجدت شخصًا تحل فيه!

براكسا: وإذا وجدنا الشخص؟

الفيلسوف: حُلَّ الإشكال.

براكسا: أنت معي إذن ... ترى فكرتي صائبة إذا وجدنا الملك!

الفيلسوف: وفي مثل هذه الساعة ليس هذا بالأمر الهيِّن!

براكسا (تتحرك في القاعة مضطربة): لا بدَّ من إيجاده بأي طريقة!

هيرونيموس (يتحرَّك نحو الحجرة): لا تضيعي وقتي أكثر من ذلك!

براكسا: انتظر يا «هيرونيموس»! ... انتظر! ... المسألة ليست بالصعوبة التي تتصورها!

هيرونيموس: إنك تَهرِفين بغير علم يا عزيزتي المسكينة!

براكسا : أتوسل إليك! ... انتظر لحظة أخرى! ... أي شخص؟! ... أي شخص نستطيع أن نأتي به الآن ليحكم في الحال ... هذا أمر سهل... أعطني الفرصة ... أعطني قليلًا من الوقت ... لا بدَّ من إيجاده! ... لا بدَّ من إيجاده!

الفيلسوف: يجب أن تعرفي أن هذا الشخص لا بد أن يكون حائزًا على صفة مهمة!

براكسا: ما هي؟

الفيلسوف: أن يكون مغفلًا!

براكسا: ماذا تقول؟

الفيلسوف: بهذا يستطيع «هيرونيموس»، أن يختفي خلفه في مثل هذه الظروف!

هيرونيموس: أرأيتِ الصعوبة؟... هذا صحيح! ... من يضمن لي أن هذا الملك لا يستهلُّ حكمه بتسليمي للأعداء، أو للمحاكمة، أو للجلاد؟

براكسا: حقًّا ... هذا ما لم أفكر فيه!

الفيلسوف: ها أنا ذا قد فكرت لك!

براكسا: مغفل؟!

الفيلسوف: من هو؟

براكسا: ذلك الذي يلزمنا، يجب أن يكون في قبضتنا، وتحت تأثيرنا، لا يُبرم شيئًا إلا بوحينا، ولا يُقْدِم على قرار إلا برأينا وإرادتنا، من دون أن نظهر مع ذلك أمام الناس، أو تكون لنا صفة رسمية بادية للشعب!

الفيلسوف: أين هو هذا الرجل؟! ... هذه الأعجوبة! ... هذه المعجزة! ... هذه الهبة السماوية؟

هيرونيموس: وفي مثل هذه الساعة!

(هرج وضجيج خارج القاعة ... وصوت طرق على الباب.)

براكسا: ما هذا؟

هيرونيموس: أخبار سيئة أخرى ولا شك ... دخل الجيش المدينة ... فَلْنَرَ! ... (يتَّجه إلى الباب صائحًا) ما الخبر؟

(الباب يُفتح ويظهر الحارس، وهو يحاول منع «بلبروس» من الدخول.)

الحارس: هذا السيد يريد الدخول عَنوة!

بلبروس (يحاول التخلص من الحارس صائحًا): امرأتي! ... ألا يُسمح لي برؤية امرأتي وقد أُطلق سراحها؟

هيرونيموس: دَعْهُ يدخل!

(الحارس يترك «بلبروس» ويخرج.)

بلبروس (يندفع نحو براكسا): زوجتي! ... زوجتي العزيزة!

(يعانقها)

براكسا: «بلبروس»!

بلبروس: لو تعلمين أيتها الزوجة الوفية، كم كنت أذرف عليك الدموع وأنتِ في سجنكِ؟!

(يعانقها)

الفيلسوف (يمشط لحيته): يا له من منظر مؤثر!

هيرونيموس (لأبقراط وظهره للزوجين): أكُنَّا في حاجة إلى إضاعة الوقت في هذا أيضًا؟

براكسا: ماذا كنت تصنع في غيبتي يا «بلبروس»؟

بلبروس: كنت أدعو السماء أن تردَّكِ إليَّ سالمة حرة ... وقد استجابت الآلهة أخيرًا لدعواتي!

براكسا: ما أطيب قلبك يا «بلبروس»!

الفيلسوف (صائحًا): وجدتها! ... وجدتها! ... «يوريكا»! ... «يوريكا»!

هيرونيموس: ماذا بك أيضًا أيها الفيلسوف؟

الفيلسوف: وجدتها! ... وجدتها!

هيرونيموس: وجدت ماذا؟

الفيلسوف: هبة السماء!

براكسا (تلتفت): ماذا تقول يا «أبقراط»؟

الفيلسوف: المعجزة! ... هبة السماء!

براكسا: أين هي؟... أين هي؟

الفيلسوف: إلى جانبك ... زوجك!

براكسا: زوجي؟... «بلبروس»؟

الفيلسوف: هو بعينه!

براكسا (تتأمل زوجها وتصيح): حقًّا ... حقًّا ...! يا للحظ السعيد! ... يا لحسن الطالع! ... إن الآلهة ولا شك هي التي قد أرسلته الآن! ... هو «زيوس» ولا ريب قد استمع

إلى توسلاتنا، فبعث إلينا بهذه المعجزة في الوقت المناسب ... شكرًا لك يا «زيوس»! ... (تعانق زوجها صائحةً بفرح) شكرًا لك يا «زيوس»!

بلبروس (غير فاهم): هه؟... ماذا حدث؟

براكسا: «هيرونيموس» اشكر السماء! ... لقد حُلَّت المشكلة! ... وجاءت المعجزة!

هيرونيموس (وهو يتأمل بلبروس): نعم! ... يبدو لي أنه الشخص المطلوب!

بلبروس (ينظر إليها غير فاهم): هو من؟

الفيلسوف (يتأمل «بلبروس» بدَوره): حائز لجميع الشروط!

بلبروس (ينظر إليهم متسائلًا): عمَّن تتكلمون؟

براكسا: عن هبة السماء التي كنَّا ننتظرها.

بلبروس: متى؟

الفيلسوف: عن المعجزة التي كنا نبحث عنها، ووجدناها!

بلبروس: أين؟

هيرونيموس: عن الرجل الذي ينقذ الموقف!

بلبروس: من؟

براكسا: أنت ... أنت!

بلبروس: أنا؟!

براكسا: أنت الذي سيمنع دمًا بريئًا من أن يُسفَك.

هيرونيموس: وأنت الذي سيمنع كارثة قوية من أن تقع.

الفيلسوف: وأنت الذي سيمنع قلبًا عاشقًا من أن يُفجَع!

بلبروس: ما هذا الذي تقولون؟

براكسا: أنت الذي سيفعل كل هذا يا «بلبروس»!

هيرونيموس: أنت الذي سينقذ كل شيء يا «بلبروس»!

الفيلسوف: أنت أمل الجميع يا «بلبروس»!

بلبروس: أفهِموني بحق «زيوس» ما هو الموضوع؟

براكسا: الموضوع هو أنك المتصرف الآن في حياتنا!

هيرونيموس: وفي حياة البلد!

الفيلسوف: وفي حياة الحب!

بلبروس: أنا؟!

براكسا: نعم ... أنت الملك!

هيرونيموس: الملك «بلبروس»!
الفيلسوف: فليحيَ الملك «بلبروس»!
بلبروس (يحملق في وجوههم)**:** ما من شك في أنكم أصبتم بالجنون!
براكسا: نحن الآن في ساعةٍ دقيقةٍ رهيبة ويجب أن تصدقنا، وأن تأخذ الأمر على سبيل الجِد!
بلبروس: أنا ملك؟! ... أهذا جِد!
هيرونيموس: ليس لدينا الآن صفاء البال، ولا الوقت المتسع لنمزح معك ... أنت الآن ملك، ويجب أن تصدق ذلك!
بلبروس: أصدق ذلك؟! ... ما قولك أيها الفيلسوف؟
الفيلسوف: صدِّق! ... صدِّق! ... هنالك ظروف تفرض علينا أن نصدق غير المعقول.
بلبروس: أنا ملك؟!
الفيلسوف: ولِمَ لا؟... أهذه أول مرة يفعل فيها القدر هذه الفَعلة؟!
بلبروس: ومن الذي نصَّبني ملكًا؟
براكسا: صاحب السلطة ... من صاحب السلطة الآن؟
بلبروس: «هيرونيموس» بالطبع!
هيرونيموس: نعم ... أنا الذي أراد أن تكون أنت ملك هذا الشعب!
بلبروس: وأنت؟... ماذا تعمل؟
هيرونيموس: سأعتزل! ... وأتوارى!
بلبروس: ولماذا تفعل ذلك؟
هيرونيموس: هذا شأني أنا ... أليس لي الحق في أن أترك الحكم وقتما أريد!
بلبروس: ولماذا اخترتني أنا بالذات؟
هيرونيموس: لأنك خير مَن يَصلح!
بلبروس: خير مَن يصلح أن يكون ملكًا على هذا الشعب؟ ... أنا؟!

(يضحك)

براكسا (في قلق)**:** لماذا تضحك هكذا يا «بلبروس»؟
بلبروس: أنا خير من يصلح ملكًا؟!
هيرونيموس: نعم ... وأنا الذي يقول لك ذلك!
بلبروس (يضحك)**:** آه ... دعوني أضحك!

هيرونيموس: ليس الآن وقت الضحك يا «بلبروس»!
بلبروس: أعرف ذلك ... إن وقته لم يَحِنْ بعدُ!
هيرونيموس (في قلق)**:** ماذا تعني؟
بلبروس: أعني أن وقته عندما أرى وجه صديقي «كريميس» رؤية العين، ولكني الآن أضحك لمجرد التصور! ... نعم ... أتصور منذ الآن دهشته عندما يعلم أني قد صلحت لأن أكون ملكًا كبيرًا ... وهو الذي قال لي يومًا: إني لا أصلح إلا لأن أكون كبيرًا للخراف!

(يضحك)

هيرونيموس: ثِقْ يا «بلبروس» بأنك تصلح.
الفيلسوف: للاثنين!
بلبروس: نعم! ... سوف يعجب «كريميس» أول الأمر! ... ولكنه بعد ذلك سيقول لي: ...
هيرونيموس: لديك الغد كله تحادث فيه صديقك ويحادثك، كما تريدان! ... أما الآن فاللحظات معدودة ... ويجب أن نشرع في العمل سريعًا قبل أن تفاجئنا الحوادث ... هلمَّ بنا! ... أنت الآن الملك.
بلبروس: الآن؟... الآن؟!
هيرونيموس: نعم، الآن ... منذ هذه اللحظة!
بلبروس: مهلًا! ... مهلًا! ... أيستطيع الإنسان أن يصير ملكًا في لحظة؟!
الفيلسوف: هذا هو الشيء الذي يستطيعه الإنسان في أقل من لحظة!
بلبروس: ولكني عندما عُيِّنت قاضيًا ...
هيرونيموس: ذاك شيء آخر!
بلبروس: ولكن ...
هيرونيموس: لا تضيع وقتنا!
بلبروس: ألا تعطوني وقتًا للتفكير؟
هيرونيموس: التفكير؟! ... أأنت ممن يعرفون هذه العادة السيئة؟!
براكسا: لا تتردَّد يا «بلبروس»!
بلبروس: إني خائف!
براكسا: ليس في الأمر ما يخيف!
بلبروس: كلَّا ... لست أريد.

براكسا: ماذا تقول؟

هيرونيموس: ماذا أسمع؟

بلبروس: لست أريد أن أكون ملكًا.

براكسا: أَجُنِنْتَ؟

بلبروس: إني لم أَجِئْ هنا الساعة لأصير ملكًا ... بل جئت لأرى زوجتي بعد طول الغياب ... وأعود بها إلى بيتنا ... لنعيش معًا في هدوء بقية عمرنا ... جئت أفتح لكِ ذراعي يا «براكسا» العزيزة وأقول لك: «فلنعد أخيرًا إلى عُشنا ... عشنا الماضي ... الذي عرَفنا في دفئه الهناء الزوجي، قبل أن تنتزعكِ منه أطماع الحكم، فتتركيه خرابًا لتعمري المجالس والسجون!» جئت أقول ذلك وأصحبك إلى بيتنا، لنعيش حياتنا الأولى السعيدة قانعيْنِ راضيَيْنِ.

براكسا: إنك أحمق.

هيرونيموس: يا للأبله!

الفيلسوف (في صوت خافت): عندما بدأ يقول كلامًا معقولًا اتهمتموه بالْبَلَهِ والحُمق!

هيرونيموس: ماذا تقول أيها الفيلسوف؟

الفيلسوف: لا شيء!

براكسا: «بلبروس»! ... زوجي ... أتوسل إليك أن تقبل ... أممكن أن يرفض إنسان مثل هذه الفرصة ... إنها فرصة قلما تتاح لفرد عادي ... إنها فرصة لن تتكرر.

بلبروس: ولماذا لا تنتهزينها أنت؟... وكيف فاتتك أنتِ التي سبق لكِ الحكم ... ومارسْتِه وأحببته وسعيت إليه؟

براكسا: إن الشعب لم يَعُدْ يريدني.

بلبروس: وهل الشعب يريدني أنا؟

براكسا: الأمر مختلف ... إني لا أستطيع أن أحكم إلا برأي المجلس، والمجلس غير موجود الآن! ... أما أنت فإن الأمر الواقع هو الذي يفرضك الآن على الناس!

هيرونيموس: ليس هنا المسألة ... إن الشعب سيرضى بك ملكًا؛ لأنك رجل جديد، تمثل صفحة جديدة ... هذا كل شيء!

بلبروس: ملك؟ ... ولماذا ملك؟

براكسا: لأنك لا تستطيع أن تكون كما كنت أنا؛ لأنك لم تُنتخب من الشعب ... ولا أن تكون كما كان «هيرونيموس» لأنك لم تكن قائدًا للجيش!

بلبروس: الشعب لم ينتخبني، والجيش لم يعرفني.

الفيلسوف: ولهذا لا يمكن أن تكون إلا ملكًا.
بلبروس: ومن الذي أتى بي إذن؟
براكسا: السماء! ... أنت هبة السماء! ... ألم تقل ساعة جئتنا: إنك هبة السماء! ... هلمَّ يا «بلبروس»! ... لا تعقِّد الأمور ... أرجوك ... أتوسل إليك!
بلبروس: تريدين ذلك يا «براكسا»؟!
براكسا: نعم! ... لا ترفض! ... اقْبَلْ! ... من أجلي!
بلبروس: ولكني لا أعرف هذه المهنة!
هيرونيموس: هذه ليست مهنة!
بلبروس: وما هو عملي إذن؟
براكسا: لا شيء!
بلبروس: كيف ذلك؟... لا شيء؟ لا شيء مطلقًا؟... ولكني رجل اعتدت أن أفعل شيئًا في يومي ... ولو النظر في قضية أو قضيتين.
براكسا: كل عملك هو أن تعرف كيف تبتسم ... أظن هذا لا يحتاج إلى خبرة كبيرة.
بلبروس: أبتسم؟
براكسا: نعم لجموع الشعب في الحفلات.
بلبروس: أهذا كل المطلوب مني؟!

(ضجة تُسمَع خارج الباب.)

هيرونيموس (يصغي): صه! ... من يا ترى القادم؟!
براكسا (في همس): أيتها السماء!
هيرونيموس (يتَّجه إلى الباب ويصيح): من في الخارج؟

(الحارس يدخل)

الحارس: امرأة تريد الدخول!
المرأة (تصيح على العتبة): «براكسا جورا»!
براكسا: هذه كاتمة سري ... أدخلها!

(الحارس يُدخل كاتمة السر ويخرج.)

كاتمة السر (تعانق براكسا): عرفت اليوم أنك مطلقة السراح.

براكسا: يا لكِ من صديقة مخلصة!

كاتمة السر: كم حَزِنتُ من أجلكِ!

براكسا: يجب أن ننسى الآن تلك الأيام، وأن ننظر إلى الغد بقلوب صافية!

كاتمة السر: نعم ... إن أحداثًا جسامًا تنتظرنا في الغد! ... كل الناس يتحدثون اليوم في هذا الأمر!

براكسا: وعمَّا قليل يتحدث الناس بخبر مهم ... سيُدْخِل عليهم الاطمئنان والاستبشار!

كاتمة السر: خبر مهم؟

براكسا (تنظر إلى «هيرونيموس»): أظن أنه لا ضرر من أن نفضي إلى كاتمة سري السابقة بالخبر.

هيرونيموس: لقد اعتزلْت.

كاتمة السر: أنت يا «هيرونيموس»؟! ... لقد أحسنت اختيار الساعة.

براكسا: والشعب يحكمه الآن رجل جديد ... ملك ... حيِّي الملك!

كاتمة السر: ملك؟! ... أين هو؟

براكسا: ها هو ذا أمامك!

كاتمة السر (ملتفتةً إلى الفيلسوف): أنت يا أبقراط؟

الفيلسوف: كنت أحسبكِ أكثر ذكاءً!

كاتمة السر (حيرَى): مَن إذن؟... لا أرى هنا أحدًا؟

بلبروس: وأنا؟! ... ألا ترينني أصلح لأن أكون الملك؟

كاتمة السر: أنت؟... أنت يا «بلبروس»؟... مزاح ظريف!

براكسا: بل الأمر جِد!

هيرونيموس: نعم! ... «بلبروس» هو الملك!

كاتمة السر: ملك؟... هو؟!

(تضحك)

بلبروس: أرأيتم؟! ... ها هي ذي قد ضحكت!

براكسا (مؤنِّبَةً لكاتمة السر): تضحكين في هذا الظرف الخطير، والأمر كما أكَّدنا لكِ في غاية الجِد!

كاتمة السر (متراجعة): إنما ضحكت من ... من الفرح ... نعم ... من الفرح والغبطة! ... وأسألك العفو أيها ... الملك!

بلبروس: المركز لا يناسبني؟... هيه؟... أليس كذلك؟

كاتمة السر: بالعكس! ... لكأنه خُلِقَ لك!

بلبروس: هل أنت مقتنعة حقًّا؟

كاتمة السر: كلَّ الاقتناع ... إني أرى الآن أن هذا طبيعي جدًّا.

بلبروس: طبيعيٌّ أن أكون الملك؟

كاتمة السر: ولِمَ لا؟!

بلبروس: هذا لطف وكرم، ما قولكِ لو سألتكِ أن تعودي كاتمة للسر كما كنتِ؟

كاتمة السر: أنا؟

بلبروس: ولِمَ لا؟... إذا كان من الطبيعي أن أكون ملكًا من دون أن يسبق لي ممارسة هذا العمل، أفلا يكون من الطبيعي قيامك بوظيفة كنت تمارسينها من قبلُ؟

كاتمة السر: كاتمة سر من؟

براكسا: القصر.

كاتمة السر (لـ «براكسا»): ما دمتِ أنتِ ها هنا، فليس لي أن أبتعد.

براكسا: بالطبع سأكون هنا ... إلى جانب زوجي ... أعينه على تحمُّل أعبائه الخطيرة!

بلبروس: أعبائي الخطيرة ... أهناك شيء غير الابتسام؟... أترينه عِبئًا كبيرًا عليَّ؟... أحتاج فيه إلى معونة؟

الفيلسوف: ليس الابتسام بالأمر الهيِّن في كل الأحوال، لمن كانت له عينان تبصران حقائق الأشياء!

براكسا: لن يكون الملك «بلبروس» مكلفًا بالبصر والتفكير يا «أبقراط»؟... أنسيت؟!

الفيلسوف: حقًّا ... لن يحتاج إلى عينيه ورأسه!

بلبروس: لن أحتاج إلى عيني ورأسي؟! ... رأسي هذا!

الفيلسوف: لا أنت ولا شعبك.

براكسا: هذا من حسن الحظ!

الفيلسوف: ولن يحتاج كذلك إلى قلبه!

هيرونيموس: ولن يحتاج إلى ساعده ويده.

بلبروس: ما هذا الذي تقولون؟!

كاتمة السر: ألم تفهم يا مولاي؟!

بلبروس: لا ... لم أفهم شيئًا!

كاتمة السر: الأمر بسيط، سيكون لك رأس وقلب ويد غير هذه التي خُلِقْتَ بها.
بلبروس: ولكني أريد أن أحتفظ بهذه الأعضاء التي خُلِقْتُ بها!
براكسا: مستحيل يا «بلبروس»! ... إنك لم تعد رجلًا عاديًّا ... أنت الآن ملك!
بلبروس: وهل الملك تُعار له أعضاء ليست له؟
هيرونيموس: هذا ضروري!
بلبروس: لا أريد إذن أن أكون ملكًا!
هيرونيموس: هذا الرجل سيقتلني غيظًا ... إن الموت بالسيف لأهون عليَّ!
براكسا: «أبقراط» ... أرجو منك أن توضح له الأمر ... أقنعه بعقلك ورأيك!
الفيلسوف: أصغِ إليَّ يا «بلبروس»! ... هل تثق بي؟
بلبروس: كل الثقة!
الفيلسوف: هل تُقَدِّر تفكيري؟
بلبروس: كل التقدير!
الفيلسوف: هل تريد أن يكون لك رأسي؟
بلبروس: لا.
براكسا (صائحة)**:** أجُننتَ يا «بلبروس»؟!
بلبروس: بل هو الذي سيُجَنُّ؛ لأنه يريد أن يتخلص من رأسه!
براكسا: إنه يريد أن يُسدي إليك خدمة!
بلبروس: بل أنا الذي يريد أن يُسدي إليه خدمة، وأجعله يحتفظ برأسه ... ما دام عندي رأسي!
الفيلسوف: لقد صَدَقَ.
براكسا: ماذا تقول يا «أبقراط»؟
الفيلسوف: هو الذي أقنعني!
براكسا (نافدة الصبر)**:** وأخيرًا؟! ... وأخيرًا؟!
كاتمة السر: اتركوا لي عقله وقلبه ويده ... إنه يعرف بفطرته البسيطة ما ينبغي أن يفعل!

(أصوات مختلطة تأتي من بعيد! ... كأنها أصوات هياج.)

هيرونيموس: ما هذا؟!

كاتمة السر (تتَّجه نحو النافذة وتفتحها): أصوات الشعب.
براكسا: الشعب؟
هيرونيموس: لا بد أنه اختلط بفلول الجيش الداخلة من الأبواب.
براكسا: ما العمل؟... ما العمل؟
كاتمة السر: لديَّ فكرة!
براكسا: تكلَّمي! ... أسرعي!
كاتمة السر: أذهب أنا لأستقبل الشعب عند اقترابه من القصر، وأذيع فيه خبر تولي الملك الجديد ... حتى يشغله الخبر عن التمادي في الهياج!
براكسا: اذهبي! ... ولْتعاونْك الآلهة!

(كاتمة السر تخرج مسرعة.)

هيرونيموس: والآن؟... ما موقفي؟
براكسا: مصيرك في يد الملك!
بلبروس: أنا؟
براكسا: نعم ... أنت يا «بلبروس» ... أنت الملك شئت أو كرهت ... وقد ذهبت كاتمة السر تعلن ذلك إلى الناس ... فاصنع بنا ما أنت صانع.
بلبروس: وماذا أصنع بكم؟ ... أشيروا عليَّ!
براكسا: أرأيت؟ ... ها أنت ذا في حاجة إلى أن نعيرك رأسًا يشير عليك!
الفيلسوف (همسًا): لا تقولي له ذلك! ... إن الناس يفضلون أن يستعيروا عقول غيرهم من دون أن يعلموا!
براكسا: هل تريد أن يبقى «هيرونيموس» حيًّا!
بلبروس: بالطبع!

(الأصوات في الخارج تقترب ... وهي تهتف هتافًا يتضح شيئًا فشيئًا.)

براكسا (تصغي): يا للآلهة! ... بماذا يهتف الشعب؟!
هيرونيموس: إن الأصوات تقترب من القصر!
براكسا (تقترب من النافذة): صه! ... يا للكارثة!

(أصوات الشعب في الخارج تتضح.)

الشعب (في الخارج): فليسقط «هيرونيموس»! ... فليسقط «هيرونيموس»!
هيرونيموس: الآن عرفت ما يريد الشعب.
براكسا: يريد اعتزالك!
هيرونيموس: أتظنين هذا يكفيه؟
براكسا: إذا طالب بأكثر من ذلك فإن الملك سيعلن أنه عفا عنك ... أليس كذلك يا «بلبروس»؟
بلبروس (وهو يصغي إلى هرج الشعب): نعم بالتأكيد!

(الأصوات في الخارج.)

الشعب (في الخارج): يسقط «هيرونيموس»! ... يحيا «بلبروس»!
بلبروس (في صيحة فرح): يهتفون باسمي!
براكسا: نعم... أرأيتَ؟
الشعب (في الخارج): يحيا «بلبروس»! ... يحيا الملك «بلبروس»!
بلبروس: يجب أن أبتسم أليس كذلك؟... يجب أن أبدأ في مهام مهنتي!
براكسا: اقترب من النافذة! ... وارفع يدك ... حتى يروك!

(«بلبروس» يظهر للناس في النافذة.)

الشعب (يصيح في الخارج صياحًا حماسيًّا): ها هو ذا الملك! ... «بلبروس»! ... «بلبروس» يحيا الملك «بلبروس»! ... يحيا الملك «بلبروس»!

(ستار)

الفصل الخامس

(عين المنظر الثالث ... السجن ... «براكسا جورا» ... و«الفيلسوف» و«هيرونيموس» جالسون مطرقين.)

هيرونيموس: أف! ... الشهور تمضي ونحن في هذا المكان!

الفيلسوف: تمضي سراعًا كالأحلام!

هيرونيموس: أترى هذا؟!

الفيلسوف: كل شيء يمرُّ هنا سريعًا.

هيرونيموس: إنك عجيب! ... إني أشعر كأني لبثت هنا دهورًا!

الفيلسوف: لأنك لست معتادًا حياة السجون!

هيرونيموس: وأنت؟

الفيلسوف: أنسيت أنك شرفتني بزيارتك يومًا ها هنا؟

هيرونيموس: نعم أذكر ذلك ... ولكن ... ماذا كانت تهمتك التي أدخلَتْكَ هذا السجن في ذلك الوقت؟

الفيلسوف: أنت أدرى بها.

هيرونيموس: لا أذكر!

الفيلسوف: ربما استطاعت «براكسا جورا» أن تذكِّرك.

هيرونيموس: دعها الآن فيما هي فيه ... إنها كما ترى محطمة الأعصاب ... ولها كل العذر ... أكانت تتصور أن تلك المرأة تُقْدِم على صنع هذا الذي حدث!

الفيلسوف: هذا لا يدهشني!

براكسا (منفجرة): كفى! ... كفى! ... هذا لا يدهشك ... لأنه ما من شيء يدهشك ... أما أنا فعقلي الضيق لا يستطيع أن يتصور مثل هذه الدناءة من امرأة كانت صديقتي وكاتمة سري.

الفيلسوف: لقد لمحتُ بصيصًا من نفاقها.

هيرونيموس: أغرب ما في الأمر هو تسلطها على «بلبروس» في مثل هذا الزمن القصير!

براكسا: ما عهدتُها يومًا أذكى مني!

الفيلسوف: و«كريميس»، مستشاره الآن! ... أكان يومًا أعقل مني؟!

هيرونيموس: وذلك الحارس الواقف ببابه! ... أكان يومًا أقدر مني؟!

براكسا: نحن الثلاثة الذين جعلوا منه ملكًا! ... هذا هو مصيرنا!

الفيلسوف: أنتِ التي علَّمتِه أن عمله هو أن يعرف كيف يبتسم ... فعرَف حقًّا كيف يبتسم سخريةً بنا!

هيرونيموس (لأبقراط): وأنت الذي قلت عندما رأيته: وجدتها! ... وجدتها! ... تلك اليد السحرية التي سترقص عليها التفاحات الثلاث!

براكسا: التفاحات الثلاث! ... يا لها من مهزلة! ... ها هو ذا قد ألقى في السجن القذر بالتفاحات الثلاث الذهبية، واستعاض بها تفاحات ثلاثًا عفنة!

الفيلسوف: لقد اختار على قدر ذوقه.

هيرونيموس: كان ينبغي أن تتنبأ بذلك أيها الفيلسوف!

الفيلسوف: أعترف أني أخطأت!

براكسا: كان عليك أنت يا «أبقراط» أن تنبهنا ... لقد عرفنا بعد فوات الأوان أن الأحمق لا يحلو له أن يعيش إلا مع الحمقى!

الفيلسوف: أذكر أني قلت أكثر من هذا، ونحن في هذا السجن أول مرة ... قلت: إن الكف التي نرقص عليها نحن الثلاثة، يجب أن تكون كفَّ حاوٍ يفهمنا ويفهم أسرار صفاتنا!

هيرونيموس: لقد وضعتنا في كفِّ غبي!

براكسا: أجاد «أبقراط» في الكلام، وأخْفَقَ في التطبيق!

الفيلسوف: وأين لي بكفِّ الحاوي في كلِّ وقت؟... ألم أقل: إنها لحظات نادرة جدًّا تلك التي يظهر فيها حواة الإنسانية؟

هيرونيموس: دعنا الآن من الإنسانية! ... حدثنا عن موقفنا الآن!

براكسا: موقفنا واضح ... لقد وضعونا في السجن، من دون أن ندري لماذا دخلنا، وتركونا ولا نعلم متى سنخرج؟

هيرونيموس: هذا فظيع!

الفيلسوف: أليس كذلك؟

براكسا: كل ما أعلم هو أن تلك المرأة ترى أن من مصلحتها الآن إبعادَنا!

هيرونيموس: ومن مصلحة زميليها أيضًا.

براكسا: بالتأكيد ... إنها مؤامرة دبَّرها الثلاثة ليخلو لهم الجو، ويستأثروا بتوجيه «بلبروس» إلى حيث يشاءون وتشاء أغراضهم.

هيرونيموس: إذن لا بد أن هناك تهمة رمَوْنا بها.

براكسا: بلا شك.

هيرونيموس: تهمة صدَّقها «بلبروس» من دون أن يواجهنا بها.

براكسا: بالطبع!

هيرونيموس: لا أذكر أني صنعت شيئًا يعارض مصالح «بلبروس» خلال المدة التي صاحبناه فيها. لقد نظمت له شئون الصلح العسكري الذي هادن به المقدونيين، كما أشرتما بذلك أنتِ و«أبقراط»، ثم نظمت له أمر الجزية التي سيدفعها لأعدائه كما اشترطوا!

براكسا: وأنا لا أذكر إلا أني عاونته دائمًا، وكنت أوصيه بسعة الصدر تجاه الشعب، حتى يحبه الشعب!

الفيلسوف: وأنا طبعًا لست بالذي يُغْضِب مثله بكلامي، لأنه لا يفهم مرمى كلامي!

هيرونيموس: ليس من الضروري أن تكون هناك جريمة معينة بالذات، حتى نوضع في السجن!

براكسا: ولكن لا بد أن يكون هناك دافع.

هيرونيموس: يكفي أن يكون الدافع وجود شبهة خطر على سلامة الدولة.

الفيلسوف: حقًّا ... حقًّا ... كنت قد نسيت هذا الدافع.

براكسا: هو الذي أدخلك وأدخلني ها هنا أول مرة!

الفيلسوف: وأدخل «هيرونيموس» نفسه معنا هذه المرة.

هيرونيموس: ولِمَ لا؟ ... إنَّ المسئول عن الدولة يفعل كل شيء من أجل سلامتها!

(يُفتَح باب السجن، ويظهر السجَّان يحمل جرة ماء!)

السجَّان (وهو يضع الجرَّة على الأرض): كنتم تتكلمون؟

(الجميع لا يجيبون.)

السجَّان: لماذا هذا الصمت؟... كنتم تتكلمون قبل أن أفتح هذا الباب؟!

براكسا: أسمعت ما كنا نقول؟

السجَّان: لم أسمع شيئًا ... لماذا تلزمون دائمًا الصمت عندما أدخل؟

براكسا: لم نقصد ذلك!

السجَّان: ما من مرة حادثتموني في شيء، حتى ولا سؤال واحد ألقيتموه عليَّ ... أغلب ظني أن القائد «هيرونيموس» هو الذي أوصى بالسكوت!

هيرونيموس: ماذا تعني؟

السجَّان: ربما حسبتَ أن الأمر يسيرُ الآن كما كان يسير في عهدك ... إن الناس بدأت تتكلم ... وما من أحد يلتفت إلى كلام الناس!

هيرونيموس: هذا عجيب ... وماذا يقول الناس؟

السجَّان: كل ما يهمهم الآن.

هيرونيموس: وماذا يهمُّهم الآن؟

السجَّان: أن يقلدوا حاشية الملك «بلبروس» ... أن يتسابقوا في الثراء السريع، على حساب الدولة؛ كما يفعل «كريميس» الآن!

هيرونيموس: على حساب الدولة؟

السجَّان: نعم ... هذا عمل الملك «بلبروس» الآن، هو وحاشيته وأعوانهم والمقربين إليهم ... الكل يسرق من مال الدولة ... والشعب يسرق بعضه بعضًا، والثراء من أي طريق هو هدف الجميع!

براكسا: وكاتمة السر؟

السجَّان: جمعت كنزًا من الجواهر واللآلئ.

براكسا (من بين أسنانها)**:** المجرمة!

هيرونيموس: والشعب؟ ... أهو راضٍ عن هذه الحالة؟

السجَّان: بالطبع لا.

براكسا: ولماذا لا يثور؟

السجَّان: لأنهم أفسدوه ... أفسدوا قادته الذين في أيديهم زمامه ... أفسدوهم بالرشوة!

الفيلسوف: والفلاسفة؟... ألا يتكلمون؟

السجَّان: ما من أحد يستمع الآن إلا إلى رنين الذهب.

هيرونيموس: ومصلحة الدولة؟... مجد الدولة؟

السجَّان: ما من أحد مسئول الآن عن مصلحة الدولة؟... الدولة تسير بمفردها ... متروكة إلى مصيرها ... كل ما فيها نَهْبٌ لمن يستطيع أن يسبق غيره إلى نهبها ... بالحيلة، أو البراعة، أو التدليس.

هيرونيموس: يا للعجب! ... أما من أحد مسئول الآن عن سلامة الدولة؟

السجَّان: من يكون؟... أهو «بلبروس»؟... وكلنا يعرفه؟! ... غارقًا في عبثه ولهوه وحماقاته ... أم أفراد الحاشية اللصوص؟... أم قادة الشعب المرتشون؟... أم الشعب الذي ركن إلى الاهتمام بسفاسف الأمور، وسخافات الملاهي العامة التي يشغلونه بها من حين إلى حين؟

هيرونيموس: أما من أحد يفكِّر الآن في سلامة الدولة؟

السجَّان: سلامتها؟... أبدًا!

هيرونيموس: ولماذا نحن هنا إذن؟

براكسا: نعم ... لماذا وضعونا إذن في السجن؟

الفيلسوف: ما هو الدافع النبيل؟!

السجَّان: لا أدري بعدُ، ولكني سمعت أخيرًا أن هناك محكمة علنية ستحاكمكم أمام الشعب.

هيرونيموس: سيحاكموننا؟

السجَّان: والآن دعوني أذهب ... وإذا علمت شيئًا جديدًا خاصًّا بكم، فإني سأبادر بإخباركم.

الجميع: شكرًا!

(السجان يخرج، ويغلق الباب.)

براكسا: يا للأنذال! ... سيحاكموننا أمام الشعب؟!

الفيلسوف: لا ريب في أنها تهمة وطنية خطيرة!

هيرونيموس: أصبح الأمر الآن واضحًا، والتهمة معروفة!

براكسا: ماذا تعني؟

هيرونيموس: سيثيرون قضيةَ الهزيمة.

براكسا: بعد مرور كل هذا الوقت؟!

هيرونيموس: وما الذي يمنعهم؟!

براكسا: لقد نَسِيَ الناسُ أمرَها.

هيرونيموس: إنهم يريدون أن ينسى الناسُ أمرَهم هم، وأمرَ فضائحهم، فلا بدَّ من أن يشغلوا ذاكرة الناس بأخطاء الغير.

براكسا: إنك لم تخطئ يا «هيرونيموس»، ولكن الحظ هو الذي أخطأك ... لقد أردت لبلدك نصرًا ومجدًا!

الفيلسوف: القائد مسئول عن حظه!

هيرونيموس: هذا صحيح ... وكان يجب أن أدفع ثمن الخطأ الذي أوقعني فيه حظي ... كان يجب أن أفعل ذلك في الوقت المناسب ... ولكنكما حُلتما دون قيامي بواجبي!

براكسا: واجبك هو قيامك بمعاونة «بلبروس» في أول أمره ... وليس ذنبك أنه كافأك على ذلك بالجحود!

هيرونيموس: هذا لا يغيِّر من الأمر شيئًا ... سلوكه جدير به ... وسلوكي يجب أن يكون جديرًا بي.

براكسا: لا أرى غبارًا على ما اخترنا لك من سبيل.

هيرونيموس: هذه هي نهاية السبيل قد بَدَتْ لأعيننا ... محاكمة علنية سنساق إليها كما يُساق الخونة واللصوص!

براكسا: أهذا ذنبنا؟

هيرونيموس: نعم ... ذنبي أني أصغيت إلى حُججِكِ وحجج فيلسوفك ... ولم أصغِ إلى صوت واجبي ... كان يجب أن أُنهي حياتي بحدِّ السيف ... كان ذلك أكرم وأنبل!

الفيلسوف: إنك تفكِّر في نُبل مواقفك ... ولا تفكر في موقف رجل مثلي، سينساق معك إلى تلك المحكمة ... من دون أن يدرس ماذا أدخله في كل هذا؟!

هيرونيموس: اسكت! ... لعنة الآلهة على سفسطتك! ... أضعت عليَّ الفرصة ... أين لي الآن بسيف؟!

براكسا: سيف؟!

هيرونيموس: نعم ... لن أسمح لهؤلاء الأوغاد بأن يحاكموا مثلي، وأن يصوروني للشعب حاكمًا مجرمًا في حق وطنه، عاملًا عامدًا على اندحاره ودماره.

براكسا: الشعب يعرف نواياك الطيبة!

هيرونيموس: ولكنه سيسأل: لماذا لم يَمُتْ بموتِ آماله؟! ... لماذا لم يدفع بحياته ثمن هزيمته؟!

براكسا: أتريد أن تثير موضوعًا فات أوانه؟
هيرونيموس: لا ... لم يَفُتِ الأوان!
براكسا: ماذا تعني؟
هيرونيموس: يجب أن أواجه مصيري كما رسمته لنفسي، لا كما رسمتماه لي.
براكسا: أتريد أن تنتحر الآن؟
هيرونيموس: يجب!
براكسا: لا تستسلم للأوهام يا «هيرونيموس»!
هيرونيموس: لقد استسلمت لأوهامكما طويلًا ... آن لي الآن أن أُفيق ... (يلتفت حوله) بماذا أستطيع هنا أن أقتل نفسي؟!
براكسا: «هيرونيموس»! ... لن تجد هنا سلاحًا؟
هيرونيموس (ينظر حوله): إن الموت له ألف طريق غير السلاح.
براكسا: اهدأ يا «هيرونيموس»! ... واطرد هذه الأفكار العتيقة ... وواجه أعداءك بشجاعة!
هيرونيموس: أعرف ما سوف يصنع لي أعدائي ... ولن أتيح لهم الظفر بي حيًّا.

(يرى «هيرونيموس» جرة الماء ... فيقفز نحوها ليمسك بها.)

براكسا (تفطن إلى غرضه وتنهض نحوه): «هيرونيموس»! ... ماذا تريد أن تصنع بهذه الجرة!
الفيلسوف (في مكانه هادئًا): يريد أن يحطمها ويستخدم عنقها نصلًا لعنقه!
براكسا: ويلاه! ... لا تَمَسَّ هذه الجرة! ... لا تمسَّ هذه الجرة!
هيرونيموس (يدفعها عنه): ابعدي عني أيتها المرأة! ... إليكِ عنِّي ... إليكِ عنِّي!
براكسا: لن أمكِّنك من الموت! ... لن تفعل ذلك! ... لن تفعل ذلك!

(تتعلَّق بذراعه تعلُّقًا شديدًا.)

هيرونيموس (يُبعدها عنه بعنف، فتقع على الأرض): إليكِ عنِّي!

(يسرع إلى الجرة ويحاول أن يتناولها بينما تشده «براكسا» بكل قوَّتها وهي تزحف على الأرض.)

براكسا (صائحة): إليَّ يا «أبقراط»! ... انهض ... ألا تفعل شيئًا؟! ... امنعه! ... ساعدني ... امنعه!

الفيلسوف: أما كفاكما حشري فيما لا يعنيني!

براكسا (تشدُّ «هيرونيموس» وتتعلق به وتصيح): إليَّ ... النجدة ... النجدة ... أيها السجَّان! ... أيها السجَّان!

(السجان يأتي مسرعًا ويفتح الباب ويمسك بـ «هيرونيموس» قبل أن يصل إلى الجرة.)

(ستار)

الفصل السادس

(عين المنظر الأول ... الساحة ... وقد تجمَّع فيها الشعب على هيئة محكمة ... وقد وقف «هيرونيموس» و«براكسا جورا» و«الفيلسوف» بين الحراس ... بينما جلست في الصدر حاشية الملك «بلبروس».)

كريميس (ينهض): يا أهل «أثينا»! ... أنتم الآن أمام جريمة من أحط الجرائم، ارتكبها أشخاص كان لهم في النفوس كثير من الاحترام في يوم من الأيام! ... أشخاص ظهروا أمامكم بمظهر الطهارة والنزاهة والإصلاح والبطولة ... وهم في الحقيقة وصمة عار لنا جميعًا! ... هؤلاء يجب أن نطهِّرَ أنفسنا منهم، وأن نُنزل بهم العقاب الذي يناسب جرمهم الشنيع.

الشعب (صائحًا): العقاب للمجرمين! ... العقاب للمجرمين!

كريميس: يا أهل «أثينا»! ... إنكم لم تعرفوا بعدُ ما جريمتهم، وأنتم بما فُطرتم عليه من طيبة وبساطة وكرم نفس، لا يمكن أن تخطر ببالكم جسامة هذه الجريمة ... فأرجو منكم أن تتذرعوا بضبط النفس وكظم الغيظ، قبل أن أُفضيَ إليكم بما اقترفوا من إثم.

الشعب (صائحًا): العقاب للمجرمين! ... العقاب للمجرمين!

كريميس: يا أهل «أثينا»! ... إنَّ تعطشكم للعدالة سيُروَى حالًا ... سيأخذ العدل مجراه، وسيعاقَب المجرمون؛ لتعرفوا أن كل شيء الآن بخير ... وأن في «أثينا» اليوم عدلًا!

الشعب (صائحًا): فليجرِ العدل! ... فلينزل العقاب!

هيرونيموس: يا «كريميس»! ... ما دُمْتَ قد ذكرت العدل، فمن العدل قبل أن تثير علينا الشعب، أن تسمح لي بكلمة ... إني أعرف الجريمة التي ستتهمني بها.

كريميس: ألم تقترف هذه الجريمة؟

هيرونيموس: لم أقترف أيَّ جريمة ضدَّ وطني.

كريميس: وما شأن الوطن هنا؟!

هيرونيموس: الوطن يشهد بأني ما أردت إلا انتصاره ... وما ذهبت قطعة واحدة من الذهب إلا في سبيل مجده ... وأقسم بـ «زيوس»!

كريميس: لا تخرج عن الموضوع! ... ما من أحد يتحدث الآن عن الوطن ومجده ... نحن نتحدث عن جريمتك ضد الملك «بلبروس»!

هيرونيموس: ضد الملك «بلبروس»؟!

كريميس: نعم ... جريمة الزنا!

هيرونيموس: الزنا؟

كريميس: ألم ترتكب جريمة الزنا مع «براكسا جورا» زوجة الملك «بلبروس»؟!

هيرونيموس: أهذه هي الجريمة التي تحاكمونني من أجلها؟!

كريميس: وهل هناك أفظع من هذه الجريمة؟! ... هل هناك أخطر من هذه الجريمة؟! ... هل هناك أشنع من هذه الجريمة؟! ... ملكنا الطيب «بلبروس» تُصيِّره أضحوكة؟... تُصيِّره مضغةً في الأفواه؟! ... انظر إلى هذا الشعب المسكين! ... إن كل آلامه وبؤسه وسخطه وشقائه منبعها هذه الفكرة؛ أن ملكه مخدوع؛ خَدَعتْه زوجتُه مع رجل آخر! ... إن الشعب يتألم لملكه المخدوع ... أنت مصدر آلام الشعب يا «هيرونيموس»! ... أليس هذا صحيحًا أيها الشعب؟!

الشعب (صائحًا): صحيح ... صحيح.

كريميس: أرأيت ضخامة الجريمة؟!

هيرونيموس: يا لبراعتك يا «كريميس»! ... ويا لنذالتك!

كريميس: أجبْ بنعم أو بلا ... هل ارتكبت الجريمة؟

هيرونيموس: لا!

كريميس: الكلام لك يا «براكسا جورا» ... ماذا تقولين؟

براكسا: أقول إنك وغد!

كريميس: هذا خارج عن الموضوع ... أجيبي بنعم أو بلا؟... هل خدعت زوجك؟

براكسا: لا!

كريميس: الكلام لك أيها الفيلسوف! ... ماذا تقول؟

الفيلسوف: أقول أولًا ما دخلي أنا في هذه القضية؟ ... المعروف في قضية الزنا أنها تتألف من ثلاثة أشخاص الزوج والزوجة والعشيق ... وأنا لست الزوج ولا الزوجة ولا العشيق!

الشعب (يضحك صائحًا): صحيح! ... صحيح!

كريميس: هذا صحيح! ... ولكن المعروف أنك كنت صديقًا ومستشارًا للزوجة والعشيق ... وكنت مُطَّلِعًا على أسرارهما ... وأنت صاحب عقل راجح ... وكان في إمكانك إسداء النصيحة لهما ... ولكنك سكتَّ! ... والسكوت على جريمة مشارَكةٌ فيها.

الشعب (صائحًا): معقول! ... معقول!

كريميس: أرأيت يا «أبقراط»؟... الشعب يعتبرك شريكًا.

الفيلسوف: شريكًا لمن؟... للزوجة أو العشيق؟

كريميس: لكليهما!

الفيلسوف: ولماذا تنسى الطرف الثالث؟... فلنضف الزوج أيضًا بالمرة! ... حتى أكون شريك الجميع ... شريك الزوجة في خيانتها للزوج، وشريك العشيق في الزنا بالزوجة، وشريك الزوج في غفلته عما يُصنع في الخفاء!

كريميس: لهذا كانت مسئوليتك كبيرة!

الفيلسوف: هذا لا يدهشني ... لم يَعُدْ شيء يدهشني.

كريميس: مسئوليتك كبيرة؛ لأنك كنت واقفًا في مفترق طرق ثلاث، وكنت ترى ما يحدث في كل طريق، وكان في قدرتك أن تمنع السير الخطر!

الفيلسوف: حقًّا ... للأسف! ... أرى دائمًا ما يحدث في كل طريق ... ولكن كيف أستطيع أن أمنع السير الخطر؟!

كريميس: نبِّه الغافلين والخاطئين! ... هذا عملك أيها الفيلسوف!

الفيلسوف: فعلتُ؛ فوضعوني في السجن!

كريميس: متى فعلت؟

الفيلسوف: دائمًا!

كريميس: هل أخبرت الملك «بلبروس» بأن زوجته تخونه، وأن شرفه في خطر؟

الفيلسوف: تلك مسألة أخرى.

كريميس: هذه هي قضيتنا اليوم ... لا تخرج عن الموضوع أنت أيضًا ... أجب بنعم أو بلا؟... هل أخبرت «بلبروس»؟

الفيلسوف: شرف «بلبروس» لا يهمني شخصيًّا.

كريميس: ماذا تقول؟... أنت إذن معترف.

الفيلسوف: معترف بماذا؟

كريميس: بأنك كنت تعرف الحقيقة، وأخفيتها عن «بلبروس».

الفيلسوف: لم أقل إني أعرِف الحقيقة، وما قلت يومًا إني عرَفت الحقيقة! ... إني أعرِّف الناس بأن الحقيقة لا يمكن أن تُعرف ... إن مهمتي هي أن أبحث عن الحقيقة لا أن أجدها!

كريميس: أتنكر أنك كنت تعرف كل الحقيقة عن محنة «بلبروس» الزوجية؟

الفيلسوف: إن مجال بحثي وتفكيري بعيد كل البعد عن «بلبروس» وشئونه الزوجية.

كريميس: نريد إجابة واضحة صريحة ... هل تعتقد أن «بلبروس» زوج مخدوع؟

الفيلسوف: وهو نفسه... هل يعتقد ذلك؟

كريميس: بالطبع! ... يعتقد ذلك!

الفيلسوف: منذ متى تقريبًا؟

كريميس: لا ندري.

الفيلسوف: اسألوه هذا السؤال!

كريميس: نحن نسألك أنت!

الفيلسوف: أنا لا أدري ... إنَّ الجواب يَنْبُت عادةً في رأس الزوج!

(ويشير بإصبعه إلى أعلى جبهته.)

الشعب (يضحك): معقول! ... معقول!

كريميس (صائحًا): سكوتًا! ... سكوتًا! ... يا أهل أثينا! ... إن هؤلاء المجرمين يكذبون، ولا بد لهم من أن يكذبوا هربًا من جريمتهم الخطيرة، ولكن البراهين الدامغة في أيدينا؛ وهي كفيلة بأن تُظهر إثمهم جليًّا، لا يحتمل الشك! ... إليكم الآن قول صديقتها، وموضع ثقتها، والمطَّلعة على دفين إحساسها ... انهضي يا كاتمة السر! ... يا مَن لَزِمْتِها لزوم ظلها ... قولي لنا ما تعرفين عن هذه المرأة!

كاتمة السر (تقف): إني أعرف «براكسا جورا» منذ كنت جارتها ... لم يكن زوجها المسكين مطمئنًّا ... كان يأسف لزواجه من شابة مدللة في سنها، وكانت الهواجس والظنون تلعب به، وكانت هي كثيرة التعالي على زوجها، شديدة الاستخفاف به، إلى أن أتاحت لها الظروف أن تصل إلى الحكم، وتعرف القائد الشاب «هيرونيموس»! ... منذ ذلك الوقت

ظهرت عليها علامات الولع به، فما كانت تسمع بمَقدَمه حتى تبحث عن مرآتها ... وما كانت فرصة تسنح حتى تسعى إلى الاختلاء به ... إلى أن اتَّضح الأمر لنا جميعًا، ولم يَبْقَ سرًّا ما بينهما من علاقات أبعد ما تكون عن البراءة والطهر.

كريميس: تعتقدين إذن أنها عشيقة «هيرونيموس»؟

كاتمة السر: لا شكَّ عندي في ذلك!

كريميس: وأنها خانت زوجها «بلبروس»؟

كاتمة السر: لا شكَّ عندي في أنها تخونه!

الفيلسوف: منذ متى؟... تقريبًا... أيتها الشاهدة المحترمة!

كاتمة السر: منذ أن عرفَتْه!

الفيلسوف: منذ أن كانت في الحكم وكنتِ كاتمةَ سرها؟

كاتمة السر: بالضبط!

الفيلسوف: هل أسديتِ لها النصح؟

كاتمة السر: لم أرَ فائدةً من نصحها!

الفيلسوف: هل فعلتِ؟... قولي نعم أو لا!

كاتمة السر: لا!

الفيلسوف: ما الذي منعك؟

كاتمة السر: الصداقة!

براكسا (صائحة): بل النفاق!

كريميس (صائحًا): صه! ... صه! ... ما من أحد له حق لومها؛ فليس من شأنها أن تتدخل فيما لا يعنيها!

الفيلسوف: أصبت ... هذا من شأني أنا وحدي!

كريميس: اسكت يا «أبقراط»! ... نحن الآن في تهمة «براكسا جورا» ... لقد سمحنا لك الآن بالكلام تساهلًا وكرمًا، وما كان ينبغي لك أن تقاطع وتفسد مجرى المحاكمة العادلة.

الفيلسوف: حسنًا ... سِرْ في المحاكمة العادلة!

كريميس: لا يهمنا الوقت الذي حدثت فيه الجريمة ... المهم أن الخيانة حصلت، وأن الشاهدة رأت ذلك بعينيها!

براكسا: رأت ماذا بعينيها؟

كريميس: رأت خيانتَكِ لزوجك.

براكسا: أتستطيع أن تفتري هذه الفرية؟... هذا الإفك ... هذا الزور! ... هذا البهتان!

كريميس: ليس هذا فرية ولا إفكًا ولا زورًا ... تلك حقيقة!

براكسا: أتستطيع أن تقسم أنها رأت شيئًا بعينيها؟

كريميس (لكاتمة السر)**:** تكلَّمي! ... رُدِّي عليها!

كاتمة السر: ليس من الضروري أن نرى الحقائق بالعين ... إن من الحقائق ما يُرى بالبداهة!

براكسا: ماذا رأيت بالبداهة؟

كاتمة السر: عندما تختلي امرأة برجل تحبه، ماذا يمكن أن يحدث بينهما في تلك الخلوة؟!

كريميس: حقًّا ... لا لزوم للعين هنا ... تكفي بصيرة العقل ... وما نفع العقل إذن إذا لم يَرَ هنا النتيجة المحتومة؟!

الفيلسوف: لا تحتكم إلى العقل يا «كريميس» فهو قاضٍ خطر!

براكسا: دَعْهُ يا «أبقراط» ... إني راضية بحكم العقل!

كريميس: وأنا أيضًا!

براكسا: ما دُمْنا نحتكم إلى العقل، إذن أجب عن هذا السؤال: لماذا سكتت كاتمة سري في الماضي وتكلمت اليوم؟

كريميس: تكلمت في الوقت المناسب!

براكسا: هذا صحيح! ... في الوقت المناسب لها ولك!

كريميس: ماذا تقصدين؟

براكسا: الأمر واضح ... إنها تكلمت اليوم لتبعدني وتحل محلي عند الملك «بلبروس»! وقد نجحت ... نجحت، لأنها استطاعت بمقدرتها في النفاق أن تتملقه، وتعالج إحساسه بانتقاصي ... وقد أَنِسَ إليها وأحبَّها أخيرًا بِقَدْرِ ما كرهني؛ لأن وجودي يُشعره بقصوره، أما قُربها فيوقظ فيه غروره ... وما دمت يا «كريميس» ترى النتيجة المحتومة للخلوة بين رجل وامرأة هي الخيانة، فأنت تعلم كل العلم كم تختلي الآن كاتمة السر بزوجي؟!

كريميس: ماذا تعنين بهذا؟

براكسا: أعني أن هذه المرأة هي اليوم عشيقة الملك «بلبروس»!

كاتمة السر (صائحة)**:** كيف تَجسُرين؟

براكسا: كما جَسَرتِ أنتِ!

كريميس (صائحًا): سكوتًا! ... سكوتًا! ... إن إلقاء التهم جزافًا ليس من حقكِ يا «براكسا جورا»!

براكسا: ولماذا هو من حقكم أنتم؟!

كريميس: لأن في أيدينا الدليل!

براكسا: أليس هو العقل؟! ... البداهة!

كريميس: بلى، بالطبع!

براكسا: في يدي أيضًا نفس الدليل!

كريميس: لا!

براكسا: تكلم يا «أبقراط»! ... أيمكن أن يكون للعقل وجهان ولسانان؟!

الفيلسوف: له أكثر من ذلك ... وهذا لشقاء الدنيا أو لخيرها ... لست أدري!

كريميس: نحن نتَّهمكِ يا «براكسا جورا» بما كان يعلمه الشعب ويتهامس به ... أليس كذلك أيها الشعب؟

الشعب (صائحًا): بلى! ... بلى!

كريميس: أرأيتِ يا «براكسا جورا»؟! ... هذا هو الشعب قد حكم، ويجب أن تنزلي على حكمه!

براكسا: وأنا أعتقد أن الشعب يعلم أيضًا ويتهامس بالعلاقة التي بين الملك «بلبروس» اليوم وكاتمة سره ... أليس هذا صحيحًا أيها الشعب؟!

الشعب (صائحًا): بلى، إنه صحيح! ... صحيح!

براكسا (تبتسم ظافرة): أرأيت؟!

كريميس (صائحًا): سكوتًا! ... سكوتًا! ... إن الشعب لا يعلم إلا ما تنقله إليه الإشاعات ... ولكنه لا يحيط أبدًا ببواطن الأمور ... ولكني سأكشف له عن الحقيقة، وأجعلها هي التي تتكلم.

الفيلسوف: يا للأحمق الذي يريد أن يفتح فمَ الوحش بيديه القذرتين!

كريميس: أَغْلِقْ أنت فمَك القذر أيها الفيلسوف!

الفيلسوف: حسنًا ... فلنصغِ إليك أنت ... هاتِ ما عندك!

كريميس: يا «هيرونيموس»! ... إنك جندي، تقدِّس شرفَ الجندية ... أتستطيع أن تقسم بشرفك العسكري أنك لم تَضُمَّ «براكسا جورا» يومًا بين ذراعيك؟! ... وأنك لم تجعل من الملك «بلبروس» زوجًا مخدوعًا!

هيرونيموس: لا حاجة إلى قسم ... إني معترف بأن في «أثينا» اليوم شخصًا مخدوعًا؟!

كريميس: هو «بلبروس»؟

هيرونيموس: بل هو الشعب!

كريميس: ماذا تقول؟

هيرونيموس (صائحًا): أقول إن هذا الشعب هو وحده المخدوع اليوم ... يا أهل «أثينا»! ... ابحثوا في رءوسكم قليلًا تجدوا الإجابة ... فكروا لحظة يتَّضح لكم أنهم يخدعونكم ويسرقونكم ... إنهم يريدون أن يشغلوكم بقضية صغيرة تافهة لا تعنيكم حتى لا تفطنوا إلى قضية كبرى تَمَسُّ حقوقَكم ومصالحَكم ... آن الأوان كي تتنبهوا ... آن الأوان كي تلتفتوا إلى الأيدي التي تعبث بجيوبكم في الظلام!

الشعب (صائحًا): مَن هم؟... مَن هم؟

كريميس: سكوتًا! ... سكوتًا! ... لا تُصغوا إلى هذا الهراء! ... «هيرونيموس» يريد أن يهرُب من تهمته ... ليُفلت من العقاب!

هيرونيموس: بل أنت وعصابتك ... تريدون الهرب من عقاب الشعب!

كريميس (للحراس): اذهبوا به إلى السجن!

هيرونيموس (صائحًا): أرأيتم يا أهل «أثينا»؟! ... إنه خائف ... إنه يمنعني من عرض قضيتكم ... إنها قضيتكم ... إنها قضيتكم.

الشعب (صائحًا): اتركه يا «كريميس» اتركه ... اتركه!

كريميس (يشير إلى الحراس بالوقوف به): صدقتموه؟... لقد استطاع أن يضللكم!

هيرونيموس: بل استطعت أن أنبِّهَهم إلى القضية الحقيقية!

كريميس: ألا تريد أيها الشعب أن تنظر في قضيته هو؟!

هيرونيموس: بل قضيتكم أنتم أولًا يا أهل «أثينا»!

الشعب (صائحًا): قضيتنا! ... قضيتنا!

هيرونيموس: أحسنت أيها الشعب! ... أحسنت!

كريميس (من بين أسنانه): فليكن! ... ما دمت تريد ذلك يا «هيرونيموس» فاسمع إذن ... لقد كنت حاكمًا مطلقًا على «أثينا»! ... فماذا صنعت لأهلها؟... سَلَبْتَهم حرياتِهم وأموالَهم وأغذيتَهم وأبناءهم، وألقيت بكل هذا في حرب تدعم بها مُلكك وتبني بها — فيما زعمت — مجدك!

هيرونيموس: بل مجد الدولة!

كريميس: على حساب كل فرد منكم أيها الشعب!

براكسا: الشعب أدرَى منك يا «كريميس» بِمَنْ أخذ منه ومن أعطى له!

كريميس: أنتِ يا «براكسا جورا» التي تقول هذا؟... أتظنين أنكِ أعطيتِ الشعب شيئًا؟

براكسا: لم أسلبه شيئًا على الأقل!

كريميس: ولم تعطيه شيئًا؟!

براكسا: أعطيته حرياته، وهذا ليس بالشيء القليل!

كريميس: حرياته في تقديم مطالب يناقض بعضها بعضًا، ومنح وعود يصادم بعضها البعض!

هيرونيموس: و«بلبروس» وحاشيته؟... ماذا صنعوا؟ ... حدثنا عما تمَّ في عهد الملك «بلبروس»؟

كريميس: كل خير ... لم ندفع به إلى الحروب!

هيرونيموس: ودفعتم به إلى الانحلال!

كريميس (مستمرًّا)**:** وتركنا له حرياته!

براكسا: وأخذتم منه نقوده!

كريميس: إن الشعب لم يرفع صوته بالشكوى من حكمنا.

هيرونيموس: لأنه غارق في النوم ... سائر في طريق الموت.

كريميس: إنك تهينُ الشعبَ ... إنَّ الشعب يَقِظ، عارفٌ ما يريد، وهو يحب الملك «بلبروس» وحكمه!

هيرونيموس: يا شعب «أثينا»! ... أتسمع ما يقول «كريميس»؟! ... إنك تعرف مَن هو «كريميس» وكيف كان فيما مضى ... وماذا كان يملك من قبل؟... كلكم رأى في الطرقات «كريميس» الفقير ... كما رأيتم «بلبروس» الذي ما كان يملك غير ثوب واحد ... والآن انظروا إلى الذهب يُوَشِّي ثوب «كريميس» الفاخر، والقصور التي يقتنيها، والعبيد الذين يخدمونه، والأموال التي يختزنها في سراديبه ... وإنكم لتعرفون ثروة الملك «بلبروس» الآن وتشاهدون ترفه ولهوه وولائمه؛ كما تسمعون عن كنوز كاتمة سِرِّه وحليها وجواهرها ولآلئها ... ألم تسائلوا أنفسكم يا أهل «أثينا» لماذا تثري هذه العصبة كل هذا الإثراء، والكثيرون منكم فقراء؟... ألم تسألوا أنفسكم من أين خرجت هذه الأموال الهائلة التي اكتنزها الملك «بلبروس» وحاشيته في هذا الزمن القصير؟... ألم تفطنوا إلى أنها من دمكم أنتم من دون أن تشعروا ... نعم من دون أن تشعروا؛ لأنهم كانوا مهرة فلم يَصخَبوا أو

يَعنُفوا، بل وخزوا جلودكم بإبرة، ثم جعلوا يمتصون دماءكم في صمت، إلى أن خدَّروكم ورَشَوا زعماءكم؛ وغمروكم في هذا الخمول الذي تعيشون فيه الآن ... ثم بعد ذلك قالوا إن سكوتكم نتيجة للرضا بحكمهم، وإن زئيرَ شكواكم الخافتة همسُ حبٍّ للملك «بلبروس» ... هذا هو حالكم يا أهل «أثينا» ... فهل أنتم راضون؟

الشعب (صائحًا): لا... لا... لا.

هيرونيموس: أسمعت يا «كريميس»؟

كريميس: أحقًّا أيها الشعب هذا الذي يزعم «هيرونيموس»؟!

الشعب (صائحًا): نعم ... نعم ... نعم.

كريميس: سكوتًا! ... سكوتًا! ... إن «هيرونيموس» ثائر ضد مِلكه ... وهو يحاول الآن أن يُشعل فيكم الثورة! ... أيها الحراس قودوا هذا الرجل إلى السجن!

هيرونيموس: حاذرْ يا «كريميس»! حاذرْ! ... إن الشعب قد تيقَّظ، وهو يريد منِّي أن أتكلَّم ... أليس كذلك أيها الشعب؟

الشعب (صائحًا): اترك «هيرونيموس»! ... تكلم يا «هيرونيموس»!

(«كريميس» يشير إلى الحراس بالوقوف.)

هيرونيموس: إنهم قد زجُّوا بنا في السجن ... أتدرون لماذا يا أهل أثينا؟... لأنهم يعلمون أننا ما كنا نمكِّنهم من سرقتكم أو نقبل أن نشاركهم في هذا الفساد!

براكسا (صائحةً): إنهم أرادوا أن يلطخوا شرفنا قبل أن نكشف لكم ما هم فيه من أقذار ... إنهم يظنون أنكم ستجهلون دائمًا، أو ترضون دائمًا بأن تحكمكم عصابة من اللصوص؟

كريميس (صائحًا): كفى! ... كفى!

الشعب (صائحًا): دعها! ... دعها! ... فليسقط اللصوص! ... فليسقط اللصوص!

الفيلسوف: اسمح لي أيها الشعب بكلمة، فقد آن لي أن أتكلم ... لقد قيل منذ لحظة: إني أقف دائمًا في مفترق طرق، وأرى ما يحدث في كل طريق ... هذا صحيح، وإني في إمكاني أن أمنع السير الخطر! ... هذا غير صحيح، على الأقل حتى الآن ... فأنا لا أستطيع شيئًا غير الكلام، وقد تكلمتُ دائمًا وأبديتُ رأيي وأغضبتُ السائرين في كل طريق، وسأغضبهم الآن مرة أخرى ... ذلك أني ما لمحت الشعب يومًا يسير في طريق من هذه الطرق، ولكني رأيت أشخاصًا يتكلمون عنه، ألا تستطيع أيها الشعب أن تمشي في طريق من الطرق بنفسك؟...

أين أنت إذن؟... وماذا تفعل إذن؟... تجلس دائمًا هكذا؟... تشاهد وتصغي وتصيح؟... لك العذر أن تفعل ذلك عندما يقوم أمامك حاوٍ من الحواة المهرة ... ولكن عندما يُقفِر الميدان من الحواة الذين يلعبون بالتفاحات الذهبية، ولا يبقى غير الدجالين والنشَّالين، فما حكمة جلوسك؟! ... ماذا تنتظر؟... وماذا تشاهد؟... لماذا لا تنهض أنت بنفسك، وتنزل إلى الميدان وتعمل؟! ... هل فهمت ماذا أريد أن أقول؟

الشعب (صائحًا): لا!

الفيلسوف: أريد أن أقول: احكم أنت! ... لا طائفة منك لمصلحة طائفة، ولا طبقة لمصلحة طبقة، ولا فرد لمصلحة جماعة، ولا جماعة لمصلحة فرد، ولكنك أنت كلك في جسم واحد وروح واحدة ... الواحد للكل ... والكل للواحد ... احكم نفسك بنفسك أيها الشعب: لمصلحة نفسك! ... هل فهمت الآن؟

الشعب (صائحًا): نعم ... فليحيَ حكم الشعب!

كريميس (صائحًا): سكوتًا! ... سكوتًا! ... إنك تحرض على قلب الحكومة يا «أبقراط»! ... وأنت تعرف عقاب هذه الجريمة ... لو وقعت فتنة فأنت شريك فيها!

الفيلسوف: هذا على الأقل خير من أكون شريكًا في الجريمة الأخرى!

كريميس (صائحًا): أيها الحراس!

الفيلسوف: مهلًا! ... لا تَعنُف يا «كريميس»! ... إذا أردت ألا يكون هذا المكان مقبرتك!

الشعب (صائحًا): فليسقط «كريميس» اللص! ... الحكم للشعب!

الفيلسوف: أحسنتم يا أهل «أثينا»! ... الحكم لكم ... ولا تخشَوا شيئًا! ... فما دام الحكم قد استطاع أن يقع في أيدي الحمقى من أمثال «بلبروس»، فما يَضيركم أن يكون في أيديكم أيضًا! إنكم لن تكونوا أكثر حمقًا منه، وقد يأتي حكمكم بالأعاجيب، وقد لا يأتي بشيء جديد ... إن الحكم ليس سهلًا ... إنه أعقد مشكلة ... جربوا على كل حال ... فلنجرب هذا أيضًا ... قد لا تحلون مشكلة الحكم نهائيًّا، لكن يكفي هنا أن الحكم في أيدي أصحابه ... يكفي أنكم تفعلون بأنفسكم ما تريدون ... لا أن تتركوا غيركم يصنع بكم ما يريد ... هلموا بنا الآن جميعًا إلى قصر الدولة ... إلى حيث يجلس الملك «بلبروس» منتفخًا في ذهبه فوق عرشه ... اذهبوا واسألوه: ماذا يصنع هناك؟... اسألوه: فيمَ يفكر؟... اسألوه كيف يقضي يومه؟... اسألوه ماذا سيفعل غدًا؟... لن تجدوا في كل إجاباته ما يدل على أنكم خطرتم على باله لحظة ... هلمُّوا إلى قصر الدولة ... هيا بنا! ... هيا بنا جميعًا ننظر إلى الرجل الذي يحكم باسمكم!

الشعب (صائحًا متحركًا): إلى قصر الدولة! ... إلى «بلبروس» الأحمق! ... فليسقط الحمقى واللصوص! ... فليحيَ حكم الشعب! ... فليحيَ حكم الشعب!

(يندفع الشعب ويجرف الحراس أمامه كأنه البحر الثائر.)

كريميس (صائحًا وسط أفواج الشعب): النجدة! ... النجدة يا «أبقراط»! ... أنقذني أيها الفيلسوف!

الفيلسوف: لم أَعُدْ فيلسوفًا ... إني في صميم المعمعة!

هيرونيموس (صائحًا): ونحن يا «أبقراط»؟

براكسا (صائحةً): فكِّر فينا قليلًا!

الفيلسوف: إني لم أَعُدْ أفكر ... إني أعمل ... ما أعجب العمل! ... حتى ولو بغير تفكير! ... (صائحًا): إلى القصر! ... فليحيَ الشعب!

الشعب (صائحًا وهو يتحرك): إلى القصر! ... فليحيَ الشعب!

(ستار)

هنـــداوي